You have
the heart of
a Rabbit
عبدالرزاق
يحيى
لديك قلب أرنب
لأن الحقيقة احياناً .. تُخفيها المفاهيم الخاطئة
ولأن النجاح ليس حلماً .. بل خطوات تُتخذ
رزمة من الأسباب تدفعك لتبدأ
من جديد ..
اكتشف أسرار النجاح والسعادة التي لم يخبرك بها أحد

الفهرس ...

١- أَحلاهُ مُرْ ..
٢- عدوك الحقيقي ..
٣- اللات والعُزّى ..
٤- الإعصار الذي يَسلُبك ما تُحب ..
٥- الحزاز ..
٦- المسافة قريبة ..
٧- الكذبة التي أحبها الجميع ..
٨- عجلة الهامستر ..
٩- عندما تريد ان تهدم ما بنيت ..
١٠- وقت الحرية ..
١١- الضربان ..
١٢- نظرية المعين ..
١٣- كيف يفعل هذا ..
١٤- ١ + ١ = ٢

سجين ولكن سجني كتاب

واغلالي الآسرات السطور

فما بين جنبيه ضاع الشباب

وفوق الصحائف مات السرور ..

بدر شاكر السياب

المقدمة ..

انتقل رجل إلى مدينة جديدة وبدأ العمل بمنشـــأة صـــناعية في تلك المنطقة، تعرف على مجموعة من الأصدقاء الذين يشاركونه نفس العمل. بعد خمســـة أســـابيع بدأت القلوب تتنافر، الكلام ألحانه مختلفة، النقاش تنقصه الابتسامة، التعاون أصبح أوامر، حتى وصل الأمر إلى بادرة شجار بسيط تمَّ فضّه قبل أن يبدأ..

اســـتمر الأمر على هذا الحال حتى انتقل إلى ورشـــة أخرى وســـبعة أشـــخاص آخرون، طيبون، رائعون، عائلة حنونة.. لكن، تكررت الأحداث التي كانت سبب انتقاله إلى هنا، فجأة اصبحت الغرفة ضيقة، الطعام الذي تسابقوا لإنهائه سابقا أصبح طعمه مقرفا، انقلبت الغرفة إلى مجلس عزاء صغير، بل حتى الهواء اصبح عفناً.....

سرح الرجل قليلاً يفكر، لقد درس المشكلة السابقة والأسباب التي صـــنعتها، حاول جاهدا لتلافي تكرار ما حدث واســـتبدل الأفعال القديمة بأخرى أجمل، لكن هذه الأفعال الجديدة لم تفلح، انها ســـيئة ايضا، وأدّت إلى مشكلة مختلفة..

ســـأل نفســـه، أين الخطب؟ في تصـــرفاته؟ أم في الحلول التي استحدثها؟ هل يمكن أن يكون الناس كلهم سيئون لهذه الدرجة؟ ما الذي فاته؟ أين الشيء الغامض في هذه الحياة ؟ ..

سيحاول مرة أخرى ويبدأ بأفعال طيبة مختلفة ويتغير للأفضل، لكنه خائف جداً هذه المرة، لأنه فقد ثقته في الحلول والقرارات التي سيتخذها إن كانت ستنجح أم لا .....

لقد مررنا بمثل هذه المواقف مرات عديدة، كلنا بلا استثناء، تعبنا من تصرفاتنا، وتعبنا أكثر من ردود أفعال الأشخاص تجاهنا... نبحث عن القبول في المجتمع لكننا نصدم بعكس ما نتوقع، وهذا لم يحدث صدفة، لابدَّ من وجود شيء خفي عنا. وفي كل مرة، وبعد عدة محاولات نجحنا في إيجاد بعض الحلول، لكن نفعتنا مع القليل من الأشخاص وأغضبت الأغلبية، وبهذا فإن هذه حلول غير ناجحة إطلاقا..

يذكرني هذا الموقف بعمل الحلاق، فكلّ شخص يأتيه شعره مختلف، وطلبه مختلف، والشكل النهائي الذي يتخيله مختلف أيضاً، وبهذا لن ينفع الحلاق التمسك بقوانين قصِّ الشعر التي درسها ليرضي جميع الزبائن..

الآن ما هو الحل ؟ هل يمكن تطبيق أسلوب الحلاق عند التعامل مع الأشخاص حولنا؟ هل هي مضمونة كلياً؟ هل نجرب أشياء أخرى أفضل وأجمل في كل مرة حتى نصل؟ لكن من يضمن لنا أنها ستنجح ! هل ستكون هذه الأفعال هي حلول ؟ أم لأننا ننظر لها بهذا الشكل ؟ ..

وبالتالي فهذا يوصـــلنا إلى أنه هناك الكثير والكثير جداً من الحلول التي تغيب عنا لكل حادثة. علينا إيجادها وخزنها، ثم انتقاء الحلّ المناسب للشخص المناسب، ليكون حلاً مناسباً..

هذا الكتاب هو خليطٌ من القصـص، الخيال، الواقع، الخواطر، النصـائح، الحلول، وكثير من ألوان الكتابة. هنا سـتتعرف على قوانين جديدة تنفعك في رحلة الحياة الطويلة، إنها طويلة لأن الحياة لن تتوقف وإنما تســتمر حتى آخر لحظة من أعمارنا. في هذه الصـــفحات تجد قصـصـاً قصـيرةً شـيقةً لن تسـتطيع محوها من ذاكرتك مدى الحياة. قصـص وعبر فيها مغزى وفائدة، سـتتعرف على أبطال هذه القصـص الذين تعلمنا من عثراتهم، سـيصـبحون أصـدقاءك الذين لم تلتقِ بهم، ومغامراتك التي لم تخضها..

أحلاه مُر ...

هناك أشياء تصنعُها بنفسك وتؤثر عليك من الداخل، وقد تكون خفيّة لكنها تظهر للعلن دون إرادتك، وسيكتشفها الناس حتى لو خبأتها، وأشدّها نفعاً وضرراً عليك هو الكلام، وما يميزه أنه حلقةُ الوصل بين ما تُخفيه داخلك وما سيقرؤه الناس حين يلتقون بك، فهو يفضح ما تخفيه من أسرار وأفكار..

قام لصٌّ بسرقة سكين وهرب. في اليوم التالي رأى اللص صاحب السكين وهو يقول: لقد سُرقتُ البارحة. فقال اللص فوراً: لا تخفْ من أخذها سيُذبح بها، فأمسك به الرجل وسأله: كيف عرفت أنّها سكين؟ وظل يضربه حتى اعترف.

نعم، إنه الكلام يكشف ما تخبئه ويفضح ما تستره.

إنه الكلام مهما حسّنته وزينته سيبقى تركه أجمل. فالصمت أفضل وأجمل من كثير مما يقال من الكلام.

يقول المثل اللاتيني "ابقَ هادئاً وسيظنك الناس فيلسوف"...

الصمت سحرٌ أنيق جذّاب وسهل، سهل جداً، صفة رائعة رغم بساطتها. تخيّل أمامك طفلٌ رضيع صامتٌ يريح والديه، يكبر بضع سنين فيصبح ولداً صغيراً قليل الضوضاء. في مدرسته الابتدائية هو الأقل توبيخاً وأقلّ عرضة للصفعات. في المرحلة الثانوية هو صديقٌ هادئ مرغوبٌ به (كلنا التقينا بهذا الشخص). وفي أولى مراحل شبابه والمراهقة والدراسة الإعدادية رجلُ الشخصية والأسرار. يدخل الكلية ليكون الشاب الجذاب الغامض صاحبَ الخلق ومحطّ الأنظار. يباشر وظيفته ويتولى القيادة بشخصيته الفريدة وقوة الكاريزما. وأخيراً عند الشيخوخة يكون الجدّ المحبوب الذي لا يتدخل كثيراً بأمور الأحفاد ونقاش الأزواج..

كثرة الكلام تجعلك تكذب بدون قصد، لأن المتكلم لا ينتبه لكلِّ مفردة يقولها بعكس المستمع الذي يدقق ويمحّص ما تقول، وخاصة أن الطبع البشري يميل إلى البحث عن الزلات والهفوات..

بين الكلام والاحترام علاقة عكسية، فكلما زاد الكلام قلَّ الاحترام والعكس صحيح كذلك. ولو قرأت الروايات وفتشت جيداً في كتب التاريخ، فلن تجدَ رجلَ دين أو قائداً وعالماً وزعيم قبيلة والأغنياء وأصحاب الثروات إلا ووجدت الصمت علامة لهم وميزة، ووجدت أحدهم قليل الكلام كثير الأفعال، فكلما كبر العقل أحتاج إلى الانعزال..

خاصة إذا كان الكلام بلا نفع ولا يعنيك فلا تتدخل . . . كان نيوتن عضواً في برلمان إنجلترا عام ١٦٩٠ إلا أن تعليقاته الوحيدة كانت فقط للشكوى من برودة الجو، أو طلب مرة أن يتمَّ غلق النوافذ..

☆☆☆☆

يُحكى أن ثلاثة أشخاص حُكم عليهم بالإعدام بواسطة المقصلة : عالم دين ومحامي وفيزيائي، وعندما حانت لحظة الإعدام تقدم عالم الدين ووضعوا رقبته في المكان المخصـــص تحت المقصلة، وسألوه: هل هناك كلمة أخيرة تود قولها؟ فقال: الله الله الله، هو من سينقذني. نزلت المقصلة، لكن ما إن وصلت لرأســـه توقفت ْ، فتعجب الناس وقالوا: أطلقوا سراح عالم الدين فقد نجّاه الله، وهكذا نجا عالم الدين.

جاء دور المحامي فسألوه: هل مـن كلمة أخيرة تود قولها؟ فقال: أنا لا أعرف الله كعالم الدين، ولكني أعرف أكثر عن العدالة، العدالة العدالة العدالة، هي من ستنقذني.. تمَّ إفلات المقصلة على رأس المحامي لكنهـا توقفت قبـل أن تلامس رقبتـه. فتح النـاس أفواههم مندهشـين، وقالوا: أطلقوا سراح المحامي فقد نفعته كلمة العدالة، ونجا المحامي..

وأخيرا جاء دور الفيزيائي فسألوه:

هل من كلمة أخيرة تودّ قولها ؟ فقال: أنا لســـت مؤمن كعالم الدين، ولا أعرف العدالة كما يعرفها المحامي، لكني أعرف أن هناك عقدة في حبل المقصلة تمنعهـا من النزول. نظر الحراس للمقصلة فوجدوا عقدة تمنعها من النزول، أزالوا العقدة وأنزلوا المقصلة على رأس الفيزيائي فقطعته..

فمن الأفضل لك أن تلتزم الصـمت أحياناً حتى إن كنت تعرف الحقيقة.

☆☆ أما بشـــأن ما تفعله عندما يتحدث إليك شـــخص أو مجموعة ولا تنوي مشاركتهم، فلا يكفي الصمت لأن المقابل سيعتبره تجاهلاً، أما إن كان جباناً سيفسرها على شكل إهانة وقلة احترام (لأن الجبان يأخذ أغلب الأمور على أنها تحدي وإثبات للذات) في هذه الحالة لن ينفعك الصـمت وإنما عليك أن تكون مسـتمعاً جيداً، تنصـت لمن يحدثك ولا تقاطعه.

الناس تتكلم. تحب الكلام والثرثرة ولا أحد يســتمع، وأنت بدورك لو وجدت مســتمعاً جيداً لكان أحبّ الناس إليك. الاســتماع صـعب، الإنصـات للناس وعدم إبداء الرأي صـعب جداً، وفيه مشـقة كبيرة على الكثير ممن يحبون الظهور والشـهرة، ولا يريدون أن يبقى داخلهم شيء من الخير خفي عن الناس.. هل التقيت بمهندس ، صدقني إنك لن تجلس معه نصف ساعة إلا وأخبرك أنه مهندس ..

الإنسان يحبُّ الكلام ويكره الاستماع، لكنه يحب من يستمع إليه. حتى عندما تتكلم تجد من يقف أمامك ويقول: نعم لقد أخبرتني بها قبل فترة، نعم لقد قلتها، يريد أن يسكتك.. فلا أحد يرغب بدور المستمع. حتى إن أكثر الناس يذهبون إلى الطبيب لا ليفحصهم وإنما ليستمع لهم..

ولا تتحدث بما لا تعرف معناه.. وعندما يُسأل غيرك فلا تتكلم بدلاً عنه..

☆☆ بعد أن تخطينا مرحلة الصمت والاستماع، وصلنا لمرحلة الكلام. ولكن انتبه هنا لأن الأمر خطيرٌ، أمر اللسان خطير، عليك أن تنتبه لما تقول، فكلّ إنسان يعتنق بعض الأفكار، ويمتلك الكثير من الأشياء، ويقوم بأفعال يعتبرها صالحة ويدافع عنها. وأنت أيضاً يجب عليك أن تحترم فكره وفعله وممتلكاته. أما إن كانت خاطئة فعليك أن تحترم شخصه، وتحاول مساعدته للوصول للحقيقة وعدم الاستهزاء برأيه،

وتجنب المواجهة بالضِد، فمن الصعب تخليص الإنسان من مبدئه أو إظهاره مخطئاً، وخاصة إن كان الأمر علانية، فالنصيحة بين اثنين فقط، أما إن وجد شخص ثالث أصبحت فضيحة..

كلّ شخص يظن أنه على حق، لن تجد من يعتبر نفسه مخطئاً، وكلّ إنسان متمسك برأيه ويدافع عن قضيته حتى إن كان على خطأ، فكيف إن كان يقول حقيقة أنت تجهلها !..

لذلك عليك أن تتكلم بلطف ولا تعارض كلامه، فهذا يشبه أن تعترض طريق أحدهم وهو يمشي بمرح ونشاط فتأتي أنت وتسد طريقه، سيغضب بلا ريب، لا تعارضه وتُفسد فرحة الكلام. تكلم بحب، وناقش بأدب، وانصحْ فيما بينك وبينه. وابدأ بكلمة لطيفة ثم اِتبعها بما تريد قوله. فهذه النفوس تحبُّ المدح وتكره النصح، فلا تنصح أحداً إلا بعد مدحه..

☆☆ ولكن قبل أن تنصح عليك أن تعرف حال المقابل، هل هو من أهل النصيحة؟ وإلا فاصمتْ. لأن الصمت خير لك، والنصيحة إنما تكون لمن يطلبها فقط..

في أحد الأيام قدِمت إلينا مدرّسة جديدة صغيرة السن، ويبدو أنها كانت متأثرة بمسرحية "مدرسة المشاغبين" وتتقمص دور الآنسة "عفت عبدالكريم" وتنصح أسوأ طالب بيننا، وبالمقابل فإن الجميع كان يهزأ بها. كان الطالب يوهمها أنه يستفيد من نصحها بينما هو يستمتع بأن تختاره من بين الجميع لتناقشه وتتحدث إليه، ويفتخر بهذا بين أصدقائه، فلا تنسَ، النصيحة لمن يستحقها ويقدرها فقط..

☆☆ لا تكثر من قول (لا) حتى لو قيل غير الحقيقة.

قل: "نعم نعم، كلامك صحيح، لكن الافضل أن ....." واعطِ حلاً لطيفاً يرضي المتكلم والسامعين ..

☆☆ تحدثْ وناقش بهدوء، واخفضْ صوتك مع الجميع، خاصة إخوتك ووالديك وزوجتك وأولادك. تحدثْ بهدوء وأدب وسترى مقدار الاحترام الذي تقرؤه في عيون الناس تجاهك..

☆☆ ثم أضف إلى هذه الخلطة المكون الرئيسي، إنها "الابتسامة" التي يعشقها الجميع..

الابتسامة التي تُرضي الصديق، وتقرّب البعيد، وتهدئ الغاضب، وتقتل الشامت، وتُخرس المستهزئ، وتزيد المحبة، وتُحدّث الشريك بما يعجز اللسان عن قوله..

عن أَبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لا تَحقرَنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاكَ بوجهٍ طليق..

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه يقول: ما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، إلا تبسّم في وجهي..

الابتسـامة تجعل الكلام الشـديد ليناً، هناك فرق في الكلام بين من قال غاضباً لضيفه الذي يدخل البيت بنعليه: انزعها.. وبين شخص آخر قال لضـيفه مبتسـماً: البيت بيتك افعلْ به ما تشـاء، ولكن اِعلم أن زوجتي ستقتلني بعد أن تذهب ..

☆☆ ولا بأس بشيء من الفكاهة والمزاح الظريف، شرط ألّا تجرح بكلامك أحد الحاضرين. ولا تكرر المزحة لأنها ستكون سخيفة في المرة الثانية..

☆☆ املأ جعبتك بمعلومات مفيدة في كل المجالات، ابتداءً من فقه الإسلام وشرائعه، والعلوم المختلفة، والرياضة بأنواعها، كرة القدم، السباحة، الرماية، وأسئلة مسلية للجميع. مثلا :

لماذا السـماء وماء البحر لونهما أزرق ؟ هل يمكن صـناعة مصـباح ينشـر الظلام في غرفة مضـاءة ؟ لو سـقطت بنا الطائرة في القطب المتجمد كيف نشعل ناراً من الجليد ؟ ..

تعلّمْ عن التاريخ والقادة، فالناس يحبون الذي يذكر العظماء في حديثه، فهم يمتلكون فكرة مسبقة عنهم وبذلك تكون سهولة في تقبّل الكلام... املأ ذاكرتك بمعلومات عن الطب والدواء والإسـعافات الأولية، لتكون عنصراً مفيداً في النقاش أو عندما يصاب أحدهم..

تعلّمْ عن القانون والمحاماة فتكون حاضراً إن احتاج صديق لنصيحة. كنْ مطلعاً على أمور البناء وإصلاح المنازل، وأعطال السيارات، والأجهزة المنزلية، والأجهزة الرقمية الحديثة، وكيف ومما تُصنع هذه الأشياء؟ لتكون شخصا نافعاً.. ولم يعد الأمر صعباً بوجود الإنترنت، فيمكنك بكل بساطة أن تشارك في مجموعات القانون والطب والسيارات والفضاء والفيزياء و.....الخ..

تعلّمْ شيئاً من كلِّ شيء، لأننا جميعاً نحبُّ العقل الغني بالمعلومات، ونُنصت له..

☆☆ ماذا قال الطبيب العسكري فيكتور عن صدام حسين؟ بماذا وصفه؟ لماذا كان يمدحه؟ وهو الممرض الخاص به في فترة اعتقاله، ومن الجيش الأمريكي الذي اعتقل صدام وساعد بإعدامه، ولك أن تكتشف السبب!.. قال ممرض عسكري كان يعتني بصدام حسين أثناء اعتقاله في معسكر قرب بغداد عام ٢٠٠٤ : إن صدام حسين كان يسقي الزرع في حديقته في السجن، ويشرب القهوة، و يدخن السيجار، وكان من النادر أن يشكو صدام خلال فترة أسره، وإن الأوامر كانت صارمة للقيام بما كل هو ضروري للإبقاء عليه حياً، ويجب ألا يموت وهو قيد الاعتقال الامريكي.. وقال أيضاً: إنه كان يحتفظ بفتات الخبز المتبقي من طعامه ويرميه للطيور عندما يخرج من زنزانته، ويخبره أنه كان مزارعاً منذ طفولته ولم ينس أصله..

وقال فيكتور: إنه لم يسبب لي أي متاعب. وكان صدام يتحدث عن اعتياده قراءة القصـــص لأطفاله الصـــغار قبل النوم، وكيف كان يعطي الدواء لابنته عندما كانت تشـــكو من ألم في معدتها، ولم يكن يخاف من الموت، و لم يندم على نظامه، قائلاً : إن ما فعله كان من أجل العراق.. وقال: إن صـــدام ســـأله ذات يوم: لماذا قامت القوات الامريكية بغزو العراق بينما كانت القوانين عادلة، ولم يعثر المفتشـون الدوليون على شـيء.. وذكر الممرض العسـكري البالغ من العمر ٥٦ عاماً أنه كان يفحصـه مرتين يومياً، وقال: إنني لم أكن أمثل تهديداً له، في الواقع كنت هناك لأساعده، وقد احترم ذلك..

وعندما كان على الممرض المغادرة لأن شـقيقه كان يحتضـر، ضمّه صدام قائلاً: *أنا سأكون شقيقك..*

كنْ متحدثاً جيداً وستكسبُ قلوب الناس، فهناك من يجمع الناس حوله بعذوبة كلامه، ومنهم من يشـــتتهم بســـوء مفرداته. كالفرق بين المدفأة التي تجمع العائلة وتجعلهم يســـتذكرون أجمل المواقف، وبين الجوال الذي يفرقهم ويسدل عليهم خيمة الصمت..

☆☆ وكل شـــخص قرأ عن ســـيرة هتلر يعلم جيداً أنه كان متحدثاً بارعاً، اسـتطاع بكلامه وخطاباته أن يسـحر الجماهير ويغرس فيهم مبادئه، ويجمع قلوب الملايين حوله..

ولابد أنك شاهدت يوماً كلمةُ وخطاباً ألقاها مدراء وأصحاب شركات عالمية. إنهم بارعون حقاً في هذا المجال. مدة الكلمة عشر دقائق أو ربع ساعة لكنها أثّرت في الجماهير بقوة كبيرة، ذلك لأن بعض هؤلاء المشاهير يتدرب ليوم كامل أو أكثر على هذه الكلمات التي لا تتجاوز الربع ساعة، يبقى يرددها مع نفسه، ويدور في الحديقة حول منزله، ويمثّل الدور أمام عائلته، لأنه يعلم أهمية الكلمة ومدى تأثيرها في قلوب الجماهير..

وعندما تسمع عن شخص موقر ومحبوب من قبل أصدقائه وشركائه في العمل، ستلاحظ أن الكلمة الجميلة والابتسامة هي صفة ملازمة له، فلا تتهاون وتقلل من قيمة الكلام وأهميته..

فإذا تكلمت يوماً ولم تجد من يستمع إليك، فأنت السبب، لأنك لست جيداً في توضيح مسألتك، ولست جيداً في انتقاء الألفاظ والمفردات..

☆☆ وأفضل من تزّين لسانك معهم وتتلطف إليهم بالكلام هم عائلتك وزوجتك. فعندما تزورك المشاكل جدْ حلاً بكلمة حنونة وأسلوب لطيف، قل لها: فعلت ذلك لأني أغار عليك، ألا تحبين أن أغار عليك؟

فإن الزوجة لو عملت ليل نهار وتعبت حتى كادت تلفظ أنفاسها الأخيرة، فإن كلمة طيبة تقال بحب واهتمام ستمحو تلك المعاناة.. بل إن أكثر حالات الطلاق تحدث بسبب الثرثرة وسوء اختيار المفردات والالفاظ. فأكثر النساء سوءاً تصبح الأجمل إذا أتقنت فن الحديث،

وكذلك الحال مع الرجل، وهذا مُشاهد بكثرة لدى الجميع. الكثير من النساء (ومن الرجال ايضاً) يعمل جاهداً ويضحي بأجمل أيام عمره لأجل أفراد عائلته التي يحبها، ومع ذلك هناك فرق كبير في تقدير ذلك التعب والجهد. فرق كبير بين شخص تعب كثيراً وأفنى شبابه وصحته وكلّ أحلامه لأجل عائلته.. وبين شخص آخر بذل جهداً أقل لكنه يستخدم الكثير من الكلمات المغلفة بالسُّكر.. بلا شك فإن الشخص الثاني صاحب الكلمات الجميلة سيتلقى الكثير والكثير من الشكر والتقدير..

☆☆ وبالمقابل لا تؤذِ أحداً بكلمة حتى لو أخطأ، فإن الإنسان لن يسلم من الخطأ مهما حاول، وأنت لست بأفضل منهم. فلا تعيّر شخصاً بذنبه ولا تفضحه ولا تكذبه...

هل تشعر بمقدار الألم والحزن الذي يصيبك عندما يُسمعك أحدهم كلاماً لا يعجبك ؟ تذكر أن هذا ما تفعله أنت بقلوب الآخرين..

☆☆ لا تُكذِّب أحداً، فهناك من العلوم لا يسعها عقلك الجميل، فإلى اليوم لم يتم اكتشاف لغز بناء الأهرامات، كذلك لم يتم معرفة أين تقضي السلاحف الصغيرة أولى سنين حياتها، فهذه السلاحف تفقس من بيضها وتتوجه مباشرة لتختفي في البحر ولا تُرى مرة ثانية إلا بعد أن تكبر، ومازال هذا الأمر لغزاً حيّر العلماء. لو أنهم أخبروك بهذه الأمور سوف تستغرب وتُكذِّب وتسخر، وبهذا فإنك تُعادي ما تجهله..

☆☆ لا تكذّبهم فربما هم على حق، وحتى لو كانوا على خطأ لا يحق لك التجاوز عليهم، قل خيراً أو اصمت، وربما تتكبر على كلامهم ويفوتك منه خير كثير..

كتب جول فيرن رواية "باريس في القرن العشرين" في عام ١٨٦٣، وبقيت مهملة ومنسية لأكثر من قرن، حتى اكتشفها حفيده ونشرت لأول مرة عام ١٩٩٤، وفيها تنبأ فيرن بما ستكون عليه باريس عام ١٩٦٠، لقد ملئتْ روايته بتقانة اعتبرت مستحيلة في زمانه، بما في ذلك آلات الفاكس، وشبكة اتصال عالمية، وناطحات سحاب من الزجاج، وسيارات تعمل على البنزين، وقطارات رفع سريعة جداً، وللأسف اتخذ عدداً من العلماء في ذلك القرن الموقف المعاكس، وأعلنوا أن الكثير من هذه التقانات مستحيلة تماماً..

☆☆ لا تتحدث وتنقل كل ما تسـمعه، فأكثره كذب، قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: (كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكلِّ ما سمع)..

☆☆ ثلاث كلمات ابتعد عن تكرارها (لا أدري / نسيت / أنا) والأكثر شـراً بينها هي "أنا" فلا أحد يحب تكرار سـماعها، وهي كلمة تنفِر منها نفوس السامعين..

☆☆ احفظْ السّر، لا تفضـح صـديقاً، ولا عدواً، ولا تتكلم بما يخفيه الناس عن حياتهم وأموراً يخجلون منها، ولا يريدون أن يعلم بها أحد..

اختبأ رجلٌ وقام بفعل شيء بحذر، لا يريد أن يراه أحد، وبينما هو منهمكٌ بعمله ويقوم بكل شـيء بسرعة كبيرة، قبل أن يأتي شخصٌ ويفسدَ عليه سره الصغير، رفع رأسه فجأة وتسمّر في مكانه حتى كاد قلبه أن يخرج من بين أضلاعه، لقد حدث ما كان يحذر، رأى على بعد أمتار منه رجل يفتح عينيه، وفمَه، وربما تفتحت كلَّ حواسـه، مع ابتسامة تشبه ابتسامةَ طفل ماكر أمسك على أخيه الأكبر دليلاً، ليخبر به والده، فركض الرجل إليه وقال متوسـلاً: أرجوك لا تخبر أحداً بما رأيت، وأعطاه مبلغاً من المال، فأخذ الرجل المال ووعده أن يكتم سره وذهب لحاله... بعد عدة أيام عاد اليه الرجل وقال: خذْ مالك، أنا آسف، لا أستطيع أن أكتم السِّر أكثر! سوف أتكلم..

☆☆ كان هناك رجلٌ يصـــنع الأحذية، ذهب يوماً إلى الكاهن بعد أن ضاق به الحال مع زوجته ليشكو له سوء العلاقة بينهما، ولأنه أراد أن ينفصل عنها. حين استمع القسُّ الى شكواه، بدأ يعدد له صفات زوجته الحســـنة لعله يرجع عن قراره، فقال له: إنها جميلة، طباخة ماهرة، متعلمة، إنها..... وقبل أن يُكمل القسُّ كلامه قام صانع الأحذية بعرض حذائه عليه قائلًا: كيف يبدو هذا الحذاء؟ فأجابه القس: يبدو أن هذا الحذاء من النوع الراقي، كما أنه مصـــنوع من الجلد الطبيعي، وأظنُّ أنه مريح جداً. حينها أجابه صانع الأحذية: هذا صحيح يا أبتِ، ولكن لا يمكنك أن تعلم كم يؤلمني هذا الحذاء !..

هذه القصـــة تعبر عن نقاط الألم والضـــرر الذي يقع على الإنســـان من أشـــياء تبدو في ظاهرها جميلة إلا أنها تكون عكس ذلك بالنسبة لصاحبها، لأنه الوحيد الذي يتألم منها..

فلا تشكُ للناس همك، لن يعلموا بحالك ولا يهمهم أصلاً، حتى إن أظهروا لك بعض التعاطف، وعيب على الرجل أن يستعطفه الناس لأنه يصغر في عيونهم..

لا تشكُ للناس ما أصابك فلن ينفعوك، وإنما يفرحون ليتسلون بك ويذكرونك في قصـــصـــهم، ويتخذونك عبرة، وفي بعض الأحيان يشمَتون بك..

ولا تتحدث بأمورك الخاصة وأسرار بيتك وعائلتك، وماضيك، وأخطائك، فكل ما تقوله اليوم يُستخدم ضدك غداً. يقول الدكتور أحمد خالد توفيق: الخصوصية قوة، فالناس لا يستطيعون تدمير مالا يعرفون، أنت سيد ما تُخفيه وأسير ما تُفشيه..

☆☆ لا تخضْ أبداً في الكلام مع سيئ الخلق والجاهل، وابتعد كلَّ البعد عن الجدال. لا تجادل أبداً حتى لو كنت محقاً، ولو أن الجدال به خير ما وُضِع مكان خاص في الجنة لمن تركه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَنا زعيمٌ ببيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لمن ترَكَ المراءَ وإن كانَ محقاً) المراء هنا معناه الجدال..

أما النقاش فهو أمر مختلف، ومع ذلك عليك تجنبه، والفرق بين الجدال والنقاش هو:

أن النقاش يكون بين اثنين رأيهما مختلف، وكلٌ منهما يحاول إثبات صحة رأيه مع الإنصات والرغبة في إظهار الحقيقة..

أما الجدال يكون بين اثنين رأيهما مختلف ايضاً، ولكن كلٌ منهما يريد أن يُلزم الشخص الأخر برأيه، ويغلبه، ويفرض عليه كلمته..

لا تنفعل أثناء النقاش والكلام فربما يريد المقابل منك ذلك، لأن الانفعال يتعب عقلك ويفقده التركيز على هدف النقاش، وبالتالي تفقد التركيز على المعلومات. غالباً ما ترى الملاكمين يُغضب أحدهم الآخر قبل النزال بلحظات، حتى يجعله يغضب ويفقد التركيز في توجيه ضرباته..

ركزْ على هدف النقاش، وانتبه ممن يريد أن يوقعك في شرك الكلام. يدفعك للكلام ليحاسبك عليه فيما بعد، أو يستخدمه ضدك. فحافظ على هدوئك، لأن صاحب المزاج العصبي يخسر دائماً وحقه ضائع..

لا تندفع كثيراً في المناقشات ولا تأخذها كلّها على محمل الجد، الناس يريدون أن يتكلموا فقط، حتى أنهم يتكلمون في أمور لا يؤمنون بها، وفي اليوم الثاني سيقولون ما يناقضها تماماً، فلا تُتعب نفسك وتحزن لردّهم عليك بقسوة، لا تجادل ولا تدافع عن رأيك..

سيقولون اليوم وينسون غداً.. وأنت الوحيد الذي يدقّ قلبه بقسوة، وتتجمع الدماء في وجهك، وتحمرُّ عيناك، وفي اليوم التالي تجدهم قد نسوا كلّ ذلك وتحدثوا بما يخالفه..

☆☆ يُذكر أن شيخاً دُعيَ لمحاضرة في إحدى القرى، فذكر حديث (حتى لو دخلوا جحر ضب) ثم قال: أخرجه الطبراني، يقصـــد الحديث. فسأله أحد الجلوس: يا شـــيخ! هل الطبراني هو من أخرج الضب ؟

- الطبراني أخرج الحديث.
- من جحر الضب !
- لا يا أخي.. أخرجه يعني رواه..
- وماذا حصل للضب ؟

أجاب الشيخ، وهو يحاول الحفاظ على هدوئه:

- يا حبيبي، الضب كان استعارة..
- يعني الضب ليس للطبراني ! فمن أين استعاره ؟

قال الشيخ غاضـــباً: أنا هو الضب لو حاضرت عندكم مرةً أخرى..

خاطب الناس على قدر فهمهم وتقبلهم لِمَ تقول، وإياك أن تتكبر عليهم بما تحتوي جمجمتك، أو مستوى تعليمك..

عن علي بن أبى طالب رضـــي الله عنه قال: حدِّثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله..

☆☆ كنْ ليّن الكلام، سهل المعشر، لا تتمسك بأرائك، لا تنبهر بأفعالك، فكل ما تقوله اليوم وتفعله ستكتشف عما قريب أنه كان خطأ، فهذه الآراء تتبدل وتتغير وتسلخ جلدها كل فترة من الزمان، وتظهر أخرى جديدة أفضل منها. لا تكن متزمتاً ورأسك يابس كما يقولون. فأنت تعلم شيئاً وغيرك يعرف نقيضه، وربما يكون هو المحق بينكما..

يقول أحد مؤلفي الكتب: "إنني لا أؤمن اليوم بشيء كنت أؤمن به منذ عشرين عاماً، اللّهم إلا جدول الضرب، وحتى هذا أتشكك فيه عندما اقرأ كتب إينشتاين، وفي خلال عشرين سنة أخرى قد لا أؤمن بشيء مما ذكرت في هذا الكتاب، فلست الآن واثقاً من شيء كما اعتدت أن اكون"..

وبالطبع فإن هذا في أمور الدنيا والحياة العامة فقط. أما في تعاليم الإسلام والشريعة فإنها لا تتغير ولا تتبدل حتى قيام الساعة..

☆☆ لا تبرز عضلاتك الفكرية أمام الجاهل فيهزمك بجهله. قيل: إن عنترة بن شداد هرب من ثور فسُئل: أين شجاعتك؟ أتخاف من الثور وأنت عنترة! فقال: وما أدرى الثور أني عنترة..

لا تجادل الأغبياء والحمقى ولا تناقشـــهم، هؤلاء يفهمون على طريقتهم، ويرتبون الموقف كمـا يشـــتهون، مثـل الـذي ينظر للنجوم ويستخرج أشكالاً تشبه ما يُحب، ويفرح بذلك ويظن أن السماء تجسدت بما يفكر..

وإليك هذا المثال من كتاب "انشطار الذهن" ..

"يالي" هو قائد من غينيا حاولت اسـتراليا اسـتمالته إلى جانبها في أربعينيات القرن العشـرين، وذلك بدعوته لزيارة اسـتراليا كي يرى التطور وعجائب العلم. لقد تجول يالي في مصـــانع الطائرات وشـــاهد الشـــوارع المنســـقة والبنايات الشـــاهقة، ولم يعجبه إلا متحف الملكة وحديقة الحيوان، لأنه وجد في المتحف أشـياء مألوفة لديه كان قد رآها في غينيا، مثل الأقنعة الطقوسـية التي اسـتخدمها هو وقبيلته، وقيل له إنها من أعمال الشيطان..

أما في زيارته هذه فإنه تعلم شيئاً جديداً..

تعلّمَ أن مثل هذه الأشـــياء تُحفظ وتُقدس في علب زجاجية، وتُصـــان بكهنة يلبسـون لباس أبيض، ويعبدها عامة الناس الذين يأتون دائماً ويتكلمون بحضورها بخشوع وصوت منخفض..

ورأى في حـديقـة الحيوان الكثير من الحيوانـات المـألوفـة، وأخرى جديدة لم يرَ مثلها من قبل، وكيف يتم الاعتناء بها..

وشاهد بعض الصور في الكتب التي تبين صوراً لقرود تتحول تدريجياً إلى أشكال مشابهة للإنسان..

لقد علمه المبشرون أن آدم وحواء هم أسلاف الإنسان ، لكنه عرف الآن أنّ الإنسان الأبيض يعتقد أن القرود هم أسلاف الإنسان، وهذا ما يقوله ويؤمن به هو وقبيلته..

☆☆☆☆

ومهما كان الكلام مزخرفا وهيئته جميلة سيبقى الصمت أجمل.. ويبقى الكلام ورغم كل حلاوته .. مُر ..

وقد قال رسول الله ﷺ : (عليك بحُسن الخُلُق وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما عملت الخلائق بمثلها) ..

الجاهل .. إن غلبك ستندم ،
وإن غلبته فلن يهتم ..

عدوك الحقيقي ...

عام ١٩٦٤ هجم ثلاثة أشـــخاص على منزل رجل يســـكن مع زوجته وأطفاله في حي ســكني، إلا أن صـــاحب المنزل ويدعى كارل لوك تنبه لوجودهم فأخرج ســـلاحه الخاص وقتلهم جميعاً. في البداية كانت القضية لصالح لوك بما أن الجريمة حدثتْ في بيته، واعتُبِر لوك في موقف الدفاع عن النفس..

لاحظ رجال الشـرطة أن الأشـخاص الثلاثة كانوا أخوة وكانوا على شـجار دائم مع لوك. وهكذا اتهمه الادعاء العام بأنه هو من خطط للجريمة من خلال دعوة الأشـــقاء الثلاثة لمنزله، ثم الغدر بهم وقتلهم بحجة السرقة..

أدرك لوك أن الوضــع بدأ ينقلب ضــده لذلك اختفى نهائياً عن الأنظار، وفشلتْ أيّ محاولة للعثور عليه، ولكن أين اختفى ؟..

اختفى لوك في قبو منزله الذي لا تتجاوز مســـاحته متراً في مترين، وقد اتفق مع زوجته على الاختفاء نهائياً خوفاً من الإعدام، كما اتفقا أيضــاً على إخفاء ســرهما عن أطفالهما الصــغار خشــية تســريب الخبر للجيران، لكن لســـوء حظه ماتت زوجتُه بعد فترة قصـــيرة في حـادث مفـاجئ بينمـا كبر الأولاد معتقدين أن والـدهم توفي منـذ زمن بعيد،

وهكذا عاش لوك في القبر الذي اختاره لنفســـه لمدة ســـبعة وثلاثين عاماً. وخلال هذه الفترة ســـكن في هذا المنزل ثلاث عائلات ولم يشـــعر أي منها بوجوده، فقد كان يخرج خلســـة لتناول الطعام والشراب ثم يعود بهدوء مغلقاً باب القبو خلفه..

بقي على هذه الحال لمدة ســـبعة وثلاثين عاماً في هذا المكان الضـــيق، كأنه ســـجن انفرادي قليل التهوية، حتى أصـــيب يوماً بالربو بسبب رداءة المكان ولم يستطع كتم السعال الذي أخذ يشتدُّ عليه، وذات ليلة سمع ساكن البيت الجديد سعالاً مكبوتاً من تحت الأرض فاستدعى الشرطة..

وحين حضـــرت الشـــرطة تتبعت الصـــوت حتى عثرت عليه، فأخبرهم من هو وما هو سرُّ اختفائه كلّ هذه الفترة. فقال له الشـرطي: يا إلهي ألا تعلم ماذا حصـــل بعد اختفائك! أجابه لوك وقد علت وجهه علامات الاســـتغراب: لا، ماذا حصـــل؟ قال الشـــرطي: اعترفت والدة الشبان الثلاثة بأن أولادها خططوا لسرقة منزلك فأصدر القاضي حكماً ببراءتك، لكن الجميع كان يظن أنك مت، لقد أضـــعت نصـــف عمرك هباء منثوراً..

كان مع نفسه كلّ هذا الوقت، مع نفسه فقط.. يا ترى ماذا كانت تخبره كلّ هذه المدة ؟ كيف استطاعت أن تحبسه وأن تخيفه وتنفرد به طول هذه الفترة ؟..

☆☆ نفسك هي من تُعيقك وتبعدك عن النجاح بحجة الخوف من المغامرة في مشروع جديد. وتُبعدك عن السعادة بذكريات الماضي. وتفرق بينك وبين أصدقائك ومن تحب بالتركيز على الزلات. تُغريك بالشر وتثبطك عن الخير بحجة الحفاظ على سلامتك. تصدك عن الكتاب خوفاً على عينيك وتربطك بشاشة الجوال ليل نهار. تهرب بك بعيداً عن الرياضة والسباحة وكل مغامرة معتذرة إليك بالجروح والإصابات ولا تحذرك من الجلوس والنوم لساعات طوال، والتي هي سبب لأمراض القلب والشرايين..

لا ترضَ عن نفسك وسوف تصل أبعد مما خططت له، خاصة عند حدوث مشكلة، إذا اعتبرت نفسك محقاً وأن المقابل هو من أخطأ وتجاوز عليك، فلن ترتاح ولن تطمئن وسيشغل بالك الانتقام. بينما لو دققت جيداً لوجدت أنك أنت سبب المشكلة من البدء بسوء تصرفك وعنادك، وعدم التغافل والتنازل عن بعض الأمور الصغيرة..

وعندما تعرف أنك السبب والمسبب للمشكلة ستصلح ما أفسدت وتحذِّر نفسك من تكرار الخطأ في المرة القادمة. عندما تلوم نفسك ستهدأ وتتعلم من خطئك، ويطمئن قلبك..

ابحث داخلك عن الأخطاء وأصلحها.. لا تهملْ نفسك لأنها ستصبح ألدّ أعدائك، وسبباً لتلكؤ حياتك..

☆☆ احذر من نفسك ورغباتها ولا تخضع لها، كنْ نشيطاً وعازماً على تجاوز المحن التي لا يسلم منها أحد، كن جَلِداً صبوراً في حياتك واستمر بالبحث عن النجاح والتفاؤل..

أما إن توقفت عن التفاؤل وأصابك اليأس وسلّمت نفسك للأحزان، فلا يعني هذا أنك سترتاح، أو أن ترك الأحلام والأهداف يعني أن يومك سيمضي بسلاسة ويهدأ بالك، ولن تكون بحاجة للتعب والسعي بقوة وراء هدفك! كلا لن تجري الأمور على هذا النحو! فحتى اليأس يحتاج الى التعب والجهد، وخاصة أن اليأس أكثر إرهاقاً للنفس من وضع هدف والتفاؤل بالوصول إليه. لأنك ستتعب ولن تكون هناك نتيجة وجائزة تنتظرك كما في حالة الهدف المخطط له مسبقاً، وهذا أشدّ ألماً بالتأكيد..

لابد أنك سمعت عن مؤلف كتاب "البرية"... رجل اختار العيش في الغابة بعد أن يئس من حياة المدينة، انفصل عن زوجته وذهب ليعيش وحيداً وسط الغابة. ولكن هل حصل على الراحة التي خطط لها؟ على العكس، كان يتعب لأيام متتالية ليصطاد غزالاً واحداً أو طيراً أو بعض الأسماك، ولا تنتهي معاناته بالصيد، سيبحث عن طريقة للحفاظ على اللحم قبل أن يفسد ويتعفن في مكان يفتقر لكل اختراع، فإما يصنع الملح أو يشتريه ليقوم بحفظ اللحم..

وعليه أيضا أن يذهب للسوق كلّ فترة ليبيع ما عنده من أدوات الصيد التي يصنعها بيده وجلود الحيوانات وأشياء أخرى حصل عليها من الغابة، ويشـــتري بثمنها ما يحتاج من أدوات ومؤن تبقيه حياً ليوم آخر، وكـانـت أغلـب محـاولات البيع تبوء بـالفشـــل، ويرجع بيـدين فارغتين..

ثم الأمراض، والوحدة القاتلة، والحالة النفســـية، والخوف من الحيوانات، وأمور اخرى لا تُحصـــى. وهناك غيره الكثير من الناس تفرعوا في اتجاهات عدة، وتعبوا ووجدوا من الأذى والمشقة ما دفعهم إلى الجنون والانتحار، وتفاجئوا بعكس ما كانوا يحلمون به..

☆☆☆☆

في إحدى الجامعات قام أســـتاذ بتجربة نفســـية على الفئران حيث قام بإحضـــار مجموعة من الفئران ووضـــع كلّ منها في إناء زجاجي نصـف ممتلئ بالماء. الإناء الزجاجي كبير بحيث لا يسـتطيع الفأر التعلق بمخالبه أو القفز خارجه، ثم قام بحســـاب الوقت الذي سـيسـتمر فيه كل فأر في السـباحة ومحاولة الخروج قبل الاسـتسـلام للغرق، وبـالطبع كـان هنـاك اختلاف بين كـل فـأر وآخر، لكن في المتوسـط كان الفأر يحاول لمدة خمسـة عشـر دقيقة تقريباً، ثم يسـتسـلم للغرق..

بعدها قام الأستاذ بإعادة التجربة لكن مع بعض التغيير، فعندما يرى أن الفأر في لحظاته الأخيرة وأنه على وشك الاستسلام والغرق، كان يقوم بإخراجه من الإناء وتجفيفه وتركه يستريح لبعض الوقت، ثم يضعه مرة أخرى في الإناء. فعل ذلك مع كل الفئران ثم أخذ يحسب متوسط الوقت في المرة الثانية..

الآن تخيل معي أن المتوسط الأول كان خمسة عشر دقيقة تقريباً، كم تتوقع أن يكون متوسط الوقت في المحاولة الثانية؟ أكثر من ستون ساعة، ساعة وليس دقيقة! هناك فأر استمر لمدة واحد وثمانون ساعة تقريباً..

تُبين هذه التجربة أن الفئران في المحاولة الأولى فقدت الأمل بسرعة بعد أن تأكدت أنه لا سبيل للخروج، في حين إنه في المرة الثانية كان لديهم تجربة سابقة بأن هناك أمل، وأنه في أي لحظة قد تمتد لهم يد العون لتنقذهم، لذا استمروا أكثر في انتظار تحسن الظروف..

وهذا مثال بسيط عن أهمية التفاؤل وخطر اليأس وتأثيره على حياة الشخص، وهذا حال معظم البشر، فهم يستطيعون بذل مزيد من الجهد عندما يجدون التشجيع، في حين أنهم يتوقفون عن العمل عندما لا يجدون التقدير الكافي..

أهم مشروع في هذه الحياة هو إصلاح النفس واستثمارها. لا تظن أن هذا الأمر يحتاج للخيال والروحانيات، على العكس تماماً. حياتك كالمعادلة الرياضية تفعل شيئاً ما ويأتيك شيء بالمقابل، ولا وجود للقصص الخيالية والنهايات اللطيفة. فلا تتعب نفسك بالأوهام، تريد شيئاً تحركْ نحوه واحصل عليه. وهذا لا ينطبق على الأفعال فقط، وإنما يمكنك أن تجعله قانون ومعادلة رياضية تحصل منها على نتيجة لكل ما تتمنى، من أشياء حسّية أو معنوية..

وكتجربة بسيطة بينك وبين نفسك، اذهبْ الآن وابتسم أمام المرآة وسترى وجهك أجمل، نعم لقد تغير شكل الوجه وأصبح أجمل، وهذا تغيير حسّي..

جربْ ذلك مرة أخرى عندما تكون حزيناً بسبب ذكريات الماضي، ابتسم أمام المرآة وستندهش بكيفية اختفاء الذكريات المؤلمة بسرعة، ارسم على وجهك ابتسامة كاذبة مصطنعة وحاول أن تتذكر شيئاً حزيناً، لن تستطيع، ولن تستطيع تذكر حتى المشكلة التي أنت فيها. عندما تبتسم أمام المرآة حتى لو عصرت مخك محاولاً تذكر الحزن فلن تستطيع. ولا يشترط وجود المرآة، يمكنك تجربة هذا الآن وأنت جالسٌ في مكانك، وهذا تغيير معنوي..

الأمر بسيط، تغيير الأشياء للأفضل بسيط جداً، وكما في حالة الابتسامة أمام المرآة وأنها تغير داخلنا وظاهرنا، سوف نعمل على تغيير الكثير من شخصيتنا وأنفسنا للأفضل، وبنفس الطريقة..

☆☆ لا تنظر للأسفل..

لا تنظرْ للأسفل مهما كانت الحالة التي أنت فيها، إن كنت حزيناً فلا تنظر للأسفل لأن حالتك ستزداد سوءاً، وربما تدمع عيناك دون إرادتك، وقد يفوتك منظر جميل كان من الممكن أن يجلب لك القليل من السرور..

عندما تغضّ البصر عن النساء انظر للأعلى أو للجانب وليس للأسفل، لا تنظرْ للأسفل وسيتحول حالك من طفل صغير خائف الى شاب يترفع عن النظر إلى المحرمات..

إن أخطأت وتقف الآن تتلقى النقد والنُصح والتوبيخ فلا تنظر للأسفل، انظر في عيني مسؤولك مباشرة وسيتبدل النقد والنُصح إلى مناقشة..

عندما تمشي لا تنظر للأرض، ارفع رأسك وشخصك ولا تنظر للأسفل، فكلّ ما في الأسفل دنيء ورديء، يشبه من يمشي في الشارع ويحني رأسه فيرى البصاق والقذارات والاوساخ..

☆☆ الإسراف..

انتبه لهذه الكلمة وعليك تجنبها دائماً، وعندما أقول لك دائماً فأنا أعني ما أقول. لا إسراف وفي كل شيء، لا إسراف.. زنْ كلّ شيء واعرف قدره وأعطه ما يستحق، فبعض الأشياء مهما تعبت عليها اليوم وعلى صنعها ومداراتها ستكسرها وتمزقها غداً، وهكذا هي تجارب الحياة من سفرو أمشروع أو علاقة.....الخ

لا تتعبْ نفسك وتسرف في البحث عن السعادة في الرفاهية والشراء والتنزه الكثير، لأن السعادة الحقيقية تكون في راحة عائلتك وتوفير احتياجاتهم وادخار بعض المال لأيام الشدة..

فإن السفر المستمر وتجربة المطاعم الفاخرة، والإسراف في تجديد الأثاث والديكور والكثير من متطلبات الرفاهية، لن تنتهي، وستبقى تُنفق وتُنفق ثم تندم..

لا تُتعب نفسك ومن حولك بالسعي وراء الأحلام، إنك مولعٌ بها لأنك لم تجربها، وحين تجربها ستكره شغفك القديم لها. وحتى لو كانت جميلة فعلاً ورائعة، فلا تستحق كل هذا الهوس والإسراف في تعذيب النفس لأجلها..

كان هناك صـاحب عقار على شـارع تجاري، بنى في الطابق الأرضـــي ثلاثة محال تجارية، وفي الطابق الثاني شـــقتين ومثلها في الطابق الثالث،

رأيته يوماً وقد استأجر عاملاً وأحضر له فرشاة صغيرة بحجم عود الكبريت وعلبة طلاء دهني، ليقوم العامل بصبغ الفتحات بين قطع تغليف وتزيين الجدران المصـــنوعة من الســـيراميك، التي لا تتجاوز عرض هذه الفتحة الملمترين.. إنه الإسراف في حب ما تمتلكه..

عليك تجنب الإســراف وفي كل شــيء، لا تســرف في المال سواء في ادخاره أو انفاقه، لا تسرف في العمل والجهد، لا تسرفْ في الكلام، أو الصـمت، والغضـب، هدوء، تغافل، تواضـع، علاقة، تفكير، مهما كان الأمر الذي تتعامل معه،

والأهم من كل هذا لا تسـرف في محاولة إرضـاء الناس، لأن الإسـراف في العطاء يمحو قيمة ما تعطي، والإسـراف في الحب يقلبه كرهاً، ويصبح عبئاً ثقيلاً..

☆☆ عش سعيداً..

وليكنْ هدفك السعادة، فأنت من يصنعها، وهي مهمة جداً في كل تفاصيل حياتك. فإن المال والصحة والكثير من الأمور لن تجلب لك السعادة إذا لم تصنعها بنفسك، ومع عائلتك، اصنعها بنفسك لأنها أجمل جزء في شخصيتك..

لا تلقي بالاً للهموم، فالوقت يمرُّ سواء كنت حزيناً أو سعيداً، لن ينتظرك الوقت ولن يهتم لك أحد، ولن يتألم معك حتى أقرب الناس إليك، فاصنع لنفسك السعادة..

هي مهمة جداً لأنها ليست لك وحدك وإنما لكل شخص قريب منك، لعائلتك وزوجتك وأطفالك الذين يعيشون معك تحت سقف واحد، ولأصدقائك، وكذلك الغرباء الذين تتعامل معهم يومياً، فكل هؤلاء يحبون ابتسامتك لكي يسهل عليهم التعامل معك، وبالمقابل ستحصل على ما تريد منهم عن طيب خاطر..

ولا تظن أنك لو مثّلت دور الضحية ووجهك حزين سيحبك الناس أو يعطفون عليك في هذا المجتمع القاسي، على العكس،

سيتجنبك الناس ويهربون عنك بعيداً، ثم يستهزؤون بك، ويكرهونك، ثم يعادونك، فالتعساء فيهم من الحزن ما يكفيهم، والمترفين متكبرين ولا يريدون أن تصيبهم عدوى البؤس التي أصابتك..

ولهذا فإن السعادة والابتسامة والمرح أغلى مكونات شخصيتك، وهي عدّتك وثروتك لقبولك في المجتمع..

ولتجلب لنفسك ما تحبه وترغب به، عليك أن تفكر به فقط وتركز عليه، وتنسى الأشياء السيئة، حتى لو كان ينقصك شيء فلا تذكره، وإنما فكر بما تمتلك.. قل: انا أملك الكثير، ولكن ينقصني هذا الشيء الصغير.. لأن ما تفكر به ستحصل عليه، وما تركز عليه تتعثر به..

في الحقيقية أنا لا أعرف طريق للسعادة غير أن تجلبها بنفسك إليك.. صحيح أن المال يجلب السعادة، وآخر يقول: إن القناعة مفتاح لها، وغيره يظن أن راحة البال هي السعادة الحقيقية..

مهما كانت الطريقة التي أعجبتك فلا تهتم، وإنما ركزْ على الهدف ولا تهتم للطريقة . . . هل تبحث عن السعادة ؟ ركزْ للحصول عليها بأي طريقة، المال أو القناعة أو الراحة، المهم أن تحصل عليها.. وبطريقة ترضي الله وترضي ضميرك..

قبل ما يقارب من عشرين سنة تعرفت على شخص لديه إعاقة في جسده، والمشكلة أن هذه الإعاقة كانت بارزة وواضحة للجميع، لكنه نال على ما يحلم به الشاب الوسيم وأحرز ما يتمناه الرجل المُعافى..

لقد حصل على وظيفة في إحدى أكبر الشركات في العراق ومنصب وراتب يُحسد عليه، وزوجة جميلة، جميلة جداً يتمناها الجميع، قُدرت له برزق من الله، ربما بدعاء والدته..

هل قال لنفسه: ماذا سيحدث لو كان شكلي كما أتمنى؟ وماذا لو كنت أشبه أصدقائي؟ هل ظلَّ يفكر بإعاقته؟ بالطبع لا.. كان مستمتعاً بما يملك، لقد حصل على هدف يتمناه الجميع، ولا تهم الطريقة وكيف حصل ذلك؟ لقد وصل، يجب أن يهنأ بما لديه، ويبتهج بما يمتلك الآن..

فإذا حظيت يوماً بالسعادة، عش هذه اللحظة ولا تُنكّد على نفسك بالتفكير بالمال أو غيره. فكلما اتسعت عيناك ضاق صدرك. ولا بأس بتجربة بعض من الأشياء التي تملكها وتجعلك مستمتعاً بين الفينة والأخرى.. مثلاً؛

أن تقنع بما عندك، إن كنت بلا أصـــدقاء فإن زوجتك أفضـــل صديق لك.. والراتب الذي يكفيك أفضل من أموال تتعب لجمعها وتدفع صـحتك ثمناً لها.. ويمكنك أن تصـنع شـيئاً جميلاً بيدك ولو مرة واحدة في السنة..

عشْ ســـعيداً ولا تهتم للناس، افرحْ وامرح مع نفســـك ومع عائلتك وأصـدقائك.. افتحْ نافذة السـيارة صـباحاً ليلاعب الهواء وجهك ولا تهتم إن تغيرت تسـريحة شـعرك.. لا تخجل أن تُقبّل أولادك أمام الناس وتلعب معهم وتقفز..

وكما قيل "لا نتوقف عن اللعب لأننا كبرنا، إننا نكبر لأننا توقفنا عن اللعب"..

☆☆ كيف نقتل النجاح بسهولة؟ بالمقارنة..

عندما تقارن نفسك بالآخرين لن ترتاح أبداً، لأنه مهما كان ما وصلت إليه وحصلت عليه ستشعر أنك خاسر، ومهما نجحت ستنظر بغيرة لمن أحرز نجاحاً أكبر..

تمّ إجراء إحدى التجارب على قردين في قفصـــين متجاورين، قام الدكتور بإعطاء كلّ قرد منهما حجارة صـــغيرة، ثم طلب منهما إعادته إليه، القرد الأول أعاد الحجارة فأعطاه قطعة خيار، فرح القرد وراح يلتهم الخيار بشهية..

أعاد القرد الثاني الحجارة للدكتور فأعطاه عنقود عنب أحمر، وهى مكافأة ألذ وأجمل من قطعة الخيار. عندما شاهد القرد الأول ذلك فقد شهيته للخيار..

تمَّ إعادة الحجر الصغير للقردين، ثم طلب منهما إعادته إليه، القرد الأول أعاد الحجارة فأعطاه شريحة الخيار، فأخذها القرد بلا حماس ولم يأكل منها وجلس ينتظر حتى يرى مكافأة القرد الثاني، فلما وجدها عنقود عنب لم يأكل الخيار وبدأ يتصرف بحنق وغضب..

في المرة الثالثة أعطى الدكتور القرد الأول الحجارة فألقاها مباشرة تجاهه ولم ينتظر المكافأة، مع أنه في المرة الأولى كان سعيداً بقطعة الخيار، ولكنه عندما رأى غيره يحصل على جائزة أكبر كره الجائزة التي كان يحبها..

مقارنة نفسك مع الأخرين تمحو قيمة كلّ خير تملكه.. فلو كنت صقراً وقارنت نفسك مع الذئب لوجدت أن بك نقص، نقص في القوة والحجم، وأن تكون ضمن القطيع..

ولو كنت ذئباً وقارنت نفسك مع الصقر لوجدت أن بك نقص، لأنك لا تستطيع الطيران والارتفاع، ونظرك ضعيف مقارنة بالصقر..

ولو كنت ثرياً مترفاً، أو قائداً محنكاً، أو عالم زمانك، وقارنت نفسك مع الآخرين لوجدت أن بك نقص وعيب..

عند المقارنة سوف تنسى كلّ خير انت تملكه وتفكر بالنقص فقط، لن تسعد ويطمئن بالك مهما كان ما تملكه، لأنك مهما أصبحت منزلتك ستبقى تقارن نفسك مع من هو أفضل منك..

وخاصة أنك في حالة المقارنة لن تتذكر إلا ما ينقصك وتركز عليه، وقد نسيت أنك أفضل منهم في الكثير من الأشياء التي تُحسد عليها..

المقارنة تدمير لكل سعادة، إذا تعودت مقارنة نفسك بالآخرين ستحزن، فكلما صعدت خطوة ستجد أمامك من هو أفضل منك، وستقارن نفسك من جديد فتحزن أكثر من السابق، وأنت بوصولك هذا ظننت أنك في القمة، ولكنك وجدت أمامك من هو أفضل، وبذلك سيزداد حزنك أكثر..

☆☆ أنت الأفضل..

فكن كما يراك الناس. منهم من يراك بعين الصـــدق والأخلاق والأمانة، فلا تخيب ظنه فيك..

كنْ محباً لنفسك واعرفْ قدرها، ولا تتكلم عن نفسك إلا بالخير والذكريات الجميلة. لا تخبر أي شـــخص كيف كنت فقيراً، وكم عدد المرات التي كنت بحالة لا يجب أن يعرف عنها أحد، وكم مرة فشلت، وكيف هُزمت، والخلاف الذي حدث بينك وبين أحد أفراد عائلتك..

كلّ هذه الأمور تقلل من قيمتك في أعين الناس، الإنسان بطبعه يحب المظاهر وتجذبه الأشـــياء اللامعة، فلا تتكلم عن نفســـك إلا بما تحب أن يصـفك الناس به، وعامل نفسـك كما تحب وتتمنى أن يعاملك غيرك. فكيف يحبك من حولك إذا لم تكن تحب نفسك وتقدّرها ؟..

لا تتنازلْ عن قيمتك ومكانتك وتظن أن هذا تواضع. في العمل تمســكْ بموقعك واعرفْ قدر نفســك، لا تتنازلْ كثيراً فيعتادون الأمر، وتصـــيبهم الدهشـــة إن طالبت يوماً بحقك. في البيت أنت ربُّ الأســرة وسيد بيتك، لا تفرط في مركزك.. حتى مع أصدقائك، كنْ ذلك الصديق الذي يســـتمعون لرأيه، ويفتقدون قيادته إذا غاب. فكلما حافظت على موقعك كلما حافظت على قيمتك..

قبيلة من الهنود الحمر سألوا زعيمَهم: هل سيكون الشتاء القادم بارداً أم معتدلاً ؟ وكي يثبت الزعيم الجديد وجوده ورصـــانة قيادته، رغم جهله بتوقعات الطقس، أجاب: نعم ســـيكون بارداً، ابدؤوا بجمع الحطب للتدفئة ! ..

أراد الزعيم التيقن من صـحة توقعاته فاتصـل بهيئة الأرصـاد الجوية وسـأل الموظف المسـؤول: هل سـيكون الشـتاء القادم بارداً ؟ أجابه الموظف: نعم سـيكون بارداً جداً. فجمع الزعيم رجال عشـيرته من جديد وقال لهم: الشتاء سيكون أكثر من بارد، اجمعوا كلّ ما تصل إليه أيديكم من الحطب..

بعد فترة أراد الزعيم التأكد من أن توقعات مركز الأرصـــاد الجوية لم تتغير، عاد واتصـــل بهم ليطرح نفس الســـؤال، فأجابه الموظف: ســـيكون مرعباً في برودته، برودة لم تعرف البلاد مثيلاً لها في تاريخها !..

فســـأله الزعيم: كيف تعرف ذلك؟ أجابه الموظف: لأن الهنود الحمر يجمعون الحطب بجنون منذ أكثر من شهر..

فكنْ كما يراك الناس.. حتى لو كنت قليل الشأن في داخلك فلن يعلم أحد بذلك، فهم يرون موقعك، ومنه يرسمون قيمتك..

أما عدم الثقة بالنفس، وعدم تقدير الذات ومعرفة القيمة الحقيقية لنفسك، ممكن أن تؤدي بك إلى الجحيم..

على مسافة قريبة من المكان الذي أعمل فيه في حي "الميكانيك" يسكن شاب مع عائلته، ويعمل بوظيفة حكومية، أُصيب يوماً بحادث أثناء عمله مما تسبب له بضرر كبير في جسده.. بعد الحادث أحسّ الشابُ بنقص كبير في نفسه، وتمكن اليأس منه.. يوماً بعد يوم وهو يتغير نحو الأسوأ، ويسير نحو الإحباط والخيبة،

ثم بدأ يحدّث نفسه ويثبطها: لا أحد سوف يرافقك، لا أحد يدعوك لرحلة أو نزهة بسيطة وأنت على هذه الحال، لا فتاة سترضى بك زوجاً، لقد انتهيت، أنت ميت، أنت مجرد روح تسير وحدها..

حتى سمعتُ يوماً أنه قد تزوج من فتاة، ولكن، أيُّ فتاة ؟ إنها الأسوأ في تلك المنطقة، وليس هذا فقط، وإنما كلّ من يسكن في تلك المنطقة يعلم بحالها وسوء سمعتها، والأشد ضرراً عليه أن العائلة كلها تشتهر بالرذيلة.. عندما تزوجها كأنه حشرَ السلاح داخل فمه وأطلق رصاصة وانتحر.. المسكين أصبح كالخبر في الصفحات الأولى، ليس على الجرائد فقط وإنما على لسان الجميع..

الفرق بينه وبين صاحبنا الذي ذكرناه قبل قليل، أن الأول كان يثق بنفسه ويقدرها وظل يبحث لها عن الأجمل، والثاني قنط من نفسه وضيّع قيمتها بالتذمر واليأس والكسل..

أما إن كان بك خلل، ولابدّ أن يكون، وتريد أن تصـــلحه، ابدأ بعملية الإصلاح فيما بينك وبين نفسك، وكنْ الأفضل في خلوتك..

حتى تتخلص من عـاداتـك الســيئـة التي أتعبـت عقلـك مثـل الاســتعجال، الغضــب، الاضــطراب عند المناقشــة، مقاطعة حديث الآخرين، التصرف بصبيانية عند الأكل أو المزاح، وغيرها..

لتتخلص من هذه العادات الســيئة.. ابدأ بإصــلاح نفســك وفي خلوتك، صــلِّ بخشــوع وطمأنينة . . . لا ترفعْ لقمة إلى فمك قبل أن تمضـغ السـابقة . . . ربع سـاعة مع زوجتك لنقاش هادئ تسـتمع أكثر مما تتحدث . . . وعندما تتكلم مع أي شـــخص لتكنْ كلمتك واحدة لا تتغير، إن قلت لا أفعل لا تفعل، ولا تحتاج أن تحلف أو تُقســم على شيء..

وأخيراً لن تحصـــل على قيمتك وكرامتك وتُحترم، وتتخلص من الذل، إلا بـالكف والترفع عمـا في يد النـاس ، وعـدم التعلق بهم ، وتَجَنُب الإفراط في التذلل والتواضع لهم..

☆☆ ليس المهم رأيك فيما تقول وتصنع..

المهم رأي من حولك. عليك أن تستمع لرأي غيرك وتنصت لمشورته، فلا تكنْ كشخص يغني في الحمام ويعجبه صوته..

وخاصة إذا كان الأشخاص الذين يحيطون بك يحتاجون إليك، فانتبه لما تقول وتفعل، لأن لا أحد منهم سوف ينصحك، فهم يحتاجون لرضاك ولذلك يخافون أن ينصحوك فتنقلب عليهم ..

سمعتُ أحدهم يقول: إن كانت أسنانك عفنة ورائحة فمك كريهة، فإن كلّ من يجلس حولك سيشمها رغم المسافة التي بينك وبينه، وأنت الوحيد الذي لا ينتبه لهذه الرائحة مع أن أنفك قريب وملاصق لفمك ، لكنك لا تشمها..

فانتبه لنفسك جيداً قبل أن تسقط عميقاً، وقبل أن تصل إلى القاع ستقول لنفسك: كيف لم أنتبه لكل هذا ؟ لماذا لم يحذرني أحد ؟..

انتبه لنفسك بنفسك، ولا تهمل نصيحة من يجلسون بجانبك، وخذ التحذير بجدية كبيرة حتى لو كان مجرد إشارة بالعين..

☆☆ كنْ سهلاً..

واجعل الأمور حولك سهلة، فكلما زادت الطلبات صعُبَ الأمر ثم تُرك..

أردنا يوماً أن نذهب أنا ورفاقي إلى منتزه قريب من مكان عملنا، اخترنا المكان والوقت وبعض الأشياء التي نحتاجها. تمّ الاتفاق والتحضير لنزهة جميلة بين الأصدقاء. ثم قاموا بتغيير الخطة وقرروا التوجه إلى مكان أجمل، لكن المسافة أبعد بقليل. وافق الجميع لأن قضاء نصف ساعة في الطريق وبعض الدنانير الإضافية ليست بذات الأهمية مقارنة بالمكان الجديد،

ثم أعطى آخر رأيه وتمَّ تغيير بعض من المفردات في قائمة الطعام، وبالطبع لم يعترض أحدنا على الطعام لأنه كان أطيب وألذ من القائمة السابقة، هناك فرقٌ في كمية النقود التي سندفعها، ولا مشكلة في ذلك بما أن المبلغ سوف يتم تقاسمه بين الجميع. ثم تدخل صديق ثالث وأشار إلينا ببعض أدوات التسلية والصيد ومظلة كبيرة، وبالطبع سنشتريها ونتشارك المبلغ..

ولتصبح النزهة أكثر رفاهية قرروا شراء قسيمة الاشتراك الذهبي، ليتمكن كلّ شخصٍ منا التمتع بجميع الألعاب طوال النهار مجاناً، وبالتأكيد إن هذه القسيمة ثمنها باهض وليست مجانية..

عند تخيل هذه النزهة ومع كل هذه الآراء التي تمّ تقديمها، لقد أصبحت مثالية، ولكن بالمقابل تضاعف المبلغ المخصص لكل فرد إلى سبعة أضعاف تقريباً، ولذلك تمَّ إلغاء النزهة..

فإذا اردت أن تصلح شيئاً أو تبني بيتاً أو تقوم بعمل، صغيراً كان هذا العمل أم كبيراً، كلّ ما عليك فعله هو أن تحافظ عليه سهلاً بسيطاً بعيداً عن التعقيد، ولا تترك المهمة السهلة تتوسع حتى تصبح شاقة، ويزداد حجمها وتكثر طلباتها، ثم يتم الغائها لصعوبتها..

☆☆☆☆

لابدَّ أنك سمعتَ يوماً عن منظمة "منسا" هي منظمة دولية في سان فرانسيسكو خاصة بالأشخاص الأذكياء الذين لديهم معدل ذكاء ١٤٠ أو أعلى..

ذات يوم خرج أعضاء "منسا" لتناول طعام الغداء في مطعم، وعندما جلسوا اكتشف أحدهم أن زجاجة الملح تحتوي على الفلفل، وكانت زجاجة الفلفل ممتلئة بالملح. قاموا بتحدي صغير فيما بينهم.. كيف يمكنهم تبديل محتوى الزجاجتين دون انسكاب أي منهما، وباستخدام الأدوات المتاحة على الطاولة فقط.. وبكل بساطة فإن حل مسألة كهذه كان وظيفة حقيقية لعقول أعضاء "منسا"..

ناقشت المجموعة المشكلة وقدمت أفكاراً، وفي النهاية توصلت إلى حلٍّ رائع يتضـــمن منديلاً وصـــحن فارغ، ثم نادوا على النادلة لإبهارها بحلهم..

قالوا: سيدتي، لاحظنا أن زجاجة الفلفل تحتوي على الملح وأن زجاجة الملح تحتوي على الفلفل، لكن قبل أن يكملوا كلامهم وقفت النادلة وقالت: آســـفه بشـــأن ذلك، و بكل عفوية انحنت على الطاولة وتناولت الزجاجتين، وفكت أغطيتهما التي كتب على أحدهما ملح والأخرى فلفل، واستبدلت كل غطاء مكان الآخر..

بالنسبة لمعظم المشكلات في حياتنا، هناك حلول بسيطة لكن عقولنا الرائعة هي التي تعقّد كل بسيط..

كنْ سهلاً، واختر حلاً يسيراً، ولا تعقد الأمور ..

☆☆ لا تتجاوز الحافة...

قام بعض علماء النفس بتجربةٍ على ضـــفدع تمَّ وضـــعه في وعاء مليء بالماء ثم وُضـع على النار.. الغريب أنه كلما سـخن الماء يقوم الضفدع بتغيير حرارة جسمه للتكيف مع درجة حرارة الماء لتظل عادية ومقبولة، إلى أن وصـل الماء لدرجة الغليان ومات الضـفدع في هذه التجربة. بدأ القائمون على التجربة في دراسـة سـلوك الضـفدع.. الوعاء الذي وضـعوا فيه الضـفدع كان مفتوحاً من أعلاه، ومع ذلك لم يحاول القفز للخروج حتى في حال غليان الماء، إلى أن مات..

توصـل العلماء إلى أن الضـفدع اسـتخدم كلّ طاقته في معادلة درجة حرارة جســمه، وتأقلمه مع المناخ الذي حوله على الرغم من قسـاوته، إلى أن وصـل لدرجة أنه لم يتبقَ عنده طاقة للتأقلم، ولا حتى لإنقاذ نفسـه. واسـتنتجوا أن الذي قتل الضـفدع ليس الماء المغلي، وإنما إصـرار الضـفدع على أقلمة نفســه إلى حد أفقده الطاقة اللازمة لإنقاذ حياته..

نفس الأمر ينطبق عليك عندما تكون في مكان أو عمل أو علاقة بأي شـــخص، ولم تســـر الأمور معك على خير، فلا تبالغ في تعديل هيئتك وطبعك وتعاملك، وتســـتنفذ الكثير من طاقتك الجســـدية والعقلية لتتأقلم مع ما يحيط بك، لن تنفعك كثرة المحاولة. ففي النهاية ستفقد كلّ شيء وتخرج بأضرار كبيرة..

قبل عدة سنوات استأجرت محلاً قريباً من منزلي لبيع المواد الإنشائية والعدد اليدوية. مرت سنة تقريباً وأرباح المحل في حالة تدهور ولا تغطي مبالغ بدل الإيجار والكهرباء ومصاريف البيت. أخذت بعض المواد من التجار بالآجل لعلي أعوض نقص الأغراض، لكن بلا جدوى، فبعد تسديد الديون يزداد عدد المواد الضرورية التي ينقصها المحل..

قمت بعقد شراكة مع شخص ليجهز المحل بكافة الأغراض التي تنقصه، وبقيمة عشرون مليون دينار، على أن يكون الربح مناصفة بيننا. استمر العمل على هذا النحو لبضع سنوات، الأرباح ليست كثيرة لكن لا بأس بها. ثم انتكس العمل من جديد، وبعد الجرد السنوي اكتشفت أن الأرباح بدأت تنقص تدريجياً ولا تغطي المصاريف، ولا تغطي الأرباح الشهرية التي نأخذها أنا وشريكي..

استأجرت محلاً آخر على موقع تجاري مع فرق في الإيجار ونقلت المواد إليه. استمر العمل لسنين أخرى، ولكن لم تنفع هذه الخطة ايضاً، كذلك فإن الأرباح لا تغطي المصاريف ولا تكفي لدفع حصة كلّ منا، ثم طلبت مبلغ خمسة ملايين أخرى من أخي الأصغر لأشتري مجموعة من مضخات المياه وبعض الأجهزة الكهربائية، لم تفلح هذه الخطة أيضاً..

اســتمرت هذه الحرب مع الخســارة بين الكر والفر، وبالطبع تغلبت الخسائر عليّ وهزمتني شرّ هزيمة..

بعد سبع سنوات قمت ببيع المحل بعد أن سبب لي الكثير من الهم والحزن والقلق والتفكير، وفوق كل هذا لازلت لهذه اللحظة أدفع لشـريكي مبلغ شـهري اتفقنا عليه بموجب مسـتند مكتوب (الكمبيالة). وقعت عليه لأسدد ما بقي بذمتي من المال، بقيمة سبعة عشر مليوناً..

لقد وصــل المبلغ اليوم إلى تســعة ملايين ، وأتمنى وأنت تقرأ هذا المقال أن أكون قد أكملت سداد ما ورطت نفسي فيه..

لقد كانت ضــربة موجعة.. لو أني تعلمت من البداية متى عليّ أن أتوقف عن المحاولة، وأن أتراجع قبل أن أصـــل للحافة، قبل أن أتجاوزها وأسقط، لَما وصلت وأنا أغرق في الديون إلى هذا العمق..

☆☆☆☆

أما إن كانت المشـكلة صـغيرة وبسـيطة جداً وفي بدايتها، فلا تفكر بالهرب والانسـحاب. واجه مخاوفك وما فشـلت به، وأعِدْ الكَرَّة، لكن بالطريقة الصحيحة..

أرسلت ابني الصغير يوماً للتسوق من المحل القريب من بيتنا، فعاد حزيناً بالكاد يمسك نفسه حتى لا ينفجر باكياً، أخبرني أن صاحب المحل طرده لأنه أسقط حاجة على الارض..

أرسلته في اليوم التالي وقلت له: اطلب من صاحب المحل أن يحضر لك الأشياء بنفسه.. ونصحته ألا يهرب أمام الأخطاء البسيطة، ولا ينكسر من أمور لم تأتِ كما أراد، وأن يعيد المحاولة ، لكن بطريقة صحيحة..

أما في حالة العلاقات الشخصية السيئة، صديق، شريك عمل، زوج. لا تظن أن أحد سيتغير، فكثير من الناس يحبون أن تسمح لهم بسرقتك وخداعك، وأن تسمح لهم بالتعالي عليك والتنمر، يريدون أن يصنعوا منك آلة للتسلية بحجة المزاح بين الأصدقاء، يحبون أن تخدمهم بأبخس ثمن، أو ربما مجاناً، فذلك أفضل لهم..

الأمر يتوقف عليك إن كنت ستسمح لهم بذلك، أم تعترض..

هناك اقتباس لكاتب يقول فيه: إذا ركبت القطار الخطأ، حاولْ أن تنزل في أول محطة، لأنه كلما زادت المسافة زادت تكلفة العودة..

☆☆ لا تتدخل فيما لا يعنيك...

خرج شيخ المسجد بعد الصلاة فرأى ولداً صغيراً ينظر له بفضول، ابتسم بوجهه وذهب للبيت. في الصلاة التي بعدها تكرر المشهد، ورأى الشيخ نفس الولد يراقبه وينظر إلى لحيته حائراً، فلما اقترب منه قال له: عمي أريد أن أسألك ! عندما تنام هل تدخل شعر لحيتك تحت البطانية، أم فوقها ؟..

يقول الشيخ: بعد هذا السؤال لم أستطع النوم لفترة طويلة، أصابني الأرق وبقيت صاحياً بسبب شعر لحيتي، أُخرجها فوق البطانية فتحكني ولا أشعر بالراحة، ثم أدخلها تحت البطانية فأحس بثقل البطانية عليها..

انتبه.. فربما تُبيّن لأحدهم أشياء تغافل عنها فتدمر مستقبله، أو تفرق بينه وبين من يحب، أو تقطع رزقه، فتقول لصديق: لماذا تعمل بهذا الأجر القليل وتتحمل هذه المعاملة السيئة ؟..

أو تخبر زوجاً: كيف تصبر على هذه المرأة وكيف تتحمل طباعها ؟ أو تنصح شخصاً غاضباً فتقول له: لماذا لا ترد عليه، اذهب واضربه حتى لا يعتاد الإساءة إليك ؟..

الإنســان يتأثر بالكلام، فلاتكن ذلك الشــخص الفضــول، ولا تتدخل فيما لا يعنيك، فإن الفضــول يؤذيك، ويؤذي من تســللت لخصوصيته..

وليس كلّ ما يُعلم يُقال..

ادخلْ بيوت الناس أعمى، لا تنظرْ إلى ما يملكون ولا تراقب ما يفعلون.. واخرج منها أخرس، لا تخبر أحداً بما رأيت..

كنْ مفتاحَ الخير، سبباً للألفة، سبباً لتمسك الأصحاب ببعضهم، سبباً ليتشبثوا بما تعبوا سنين للحصول عليه..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: إصلاحُ ذاتِ البَين..

☆☆ انظر الى الناس بعين الخير..

ستراهم بخير، وسيكونون على الخير. هناك قصة قصيرة من الزمن القديم تقول: فقدتُ فأسي فاشتبهت بجاري أنه قد سرقه مني، فبدأت أراقبه باهتمام شديد. كانت مشيته مشية سارق فأسي، وكلامه كلام سارق فأسي، وحركاته توحي بأنه سارق فأسي. أمضيت تلك الليلة حزيناً، ولم أعرف كيف أنام وأنا أفكر بأي طريقه أواجهه ؟..

لكنني في الصباح الباكر عثرتُ على فأسي، ابني الصغير وضع فوقه كومة قش. نظرت إلى جاري في اليوم التالي، فلم أجد فيه شيئاً يشبه سارق فأسي، لا مشيته، لا كلامه، ولا إشاراته، وجدته كالأبرياء تماماً. فأدركتُ بأني أنا من كان اللص، لقد سرقتُ من جاري أمانته وذمته، وسرقتُ من عمري ليلة كاملة أمضيتها ساهراً أفكر كيف أواجه بالتهمة رجلًا بريئاً منها..

فإذا لم تصلح حالك مع الغرباء فلن تعيش سعيداً حتى مع أقرب الناس إليك، لأن العقل البشري يأخذ القانون ويطبقه على الجميع. عندما يحب سيحب الجميع، وعندما يكره سيكره الجميع..

العقل البشري لا يشبه محرك السيارة، تضبط مبدل السرعة إلى الأمام فتسير إلى الأمام، ثم تضبطه على الرجوع فتعود بك السيارة للخلف.. الأمر مختلف مع العقل البشري، عندما يحب سيحب الجميع، وعندما يكره سيكره الجميع بمن فيهم أحبابك وأهلك وأصدقائك، ولن يفرق بينهم.. كذلك في حالة الحقد والبخل والكذب والحب والتسامح والصدق..

أحسِن الظن بالناس والتمسْ لهم الأعذار، وحتى إن أخطؤوا حللها وفسرها على أنها زلة لم يُقصد بها إلا الخير..

وإياك أن تعيّر أحداً بمصيبته. يقول أحد الصالحين رحمه الله: "من عاب أخاه بذنب لم يمت حتى يفعله، فإياك والشماتة بأخيك، فيعافه الله ويبتليك" ..

وليتنا كنا كالأطفال نأكل ونشبع ولا نفكر برزق غد.. نتشاجر ثم نعود نلعب سوية بعد لحظات.. قلوبهم بريئة تخلو من الغل والحسد..

هذه هي نفسك.. عليك أن تحبها كما هي ، ثم تحاول أن تربيها وتدفعها نحو الأفضل..

لا قيمة لك.. إلا القيمة التي
تعطيها لنفسك،

وتضع لها مكاناً، أنت تختاره

اللّات والعُزّى ...

"في بعض المنازل، كان مجردُ صـــوت تُحدثه قطة كافياً لانطلاق عشرات العيارات النارية، خشية وجود القاتل المتسلسل (أبو طبر) في حديقة الدار" ..

إن الخوف من أذى البشر أو الحيوانات المفترسة والحشرات، والخوف من الأمراض، أو التعرض للأدوات الحـادة والعمـل في الأماكن الخطرة، ليس هو الخوف على حقيقتـه، بل هو أمر طبيعي ويمكن اعتباره تجنب للخطر، أو للمحافظة على أشـــياء نحبها ونهتم لأمرها. وحتى عندما كنا أطفال نخاف من أشـــياء نتخيلها ونتحمل عذاب هذا الخوف منذ صغرنا، والغريب أنها لم تحدث معنا إلى اليوم..

نخـاف من الكلـب حين يقترب منـا، ونخـاف بمجرد تخيـل الأفعى، وإلى اليوم وبعد خمســين أو ســتين عاماً لم يقترب أيّ كلب ويقوم بعضّـــنا، ولم نواجه أي أفعى.. نخاف من الجان والعفاريت خاصــة عندما نكون لوحدنا في الظلام، وإلى اليوم لم نشـعر بوجودهم أو نتحسس أذاهم..

وهذا الشـــعور بالخوف يعتبر كفعل شـــيء بلا معنى. بينما يمكنـك أن تعتبر الخوف الحقيقي هو الخوف من الحصـــول على الأفضـــل، كالخوف من الســـفر، الخوف من دخول مشـــاريع أرباحها كبيرة، الخوف من التقدم لخطبـة أجمـل فتـاة في الحي، والخوف من تكرار المحاولة..

الخوف يطرد عنك الأحلام الجميلة، ويصـــنع لك رهبة من السفر، يمنعك من امتلاك بيتين بدل الواحد، ويغمرك بالشك إن فكرت يوماً أن تصبح غنياً بلا جهد، وهذا الخوف هو البلاء بحد ذاته..

أما الخوف من قلة الرزق والخوف على المســـتقبل، هذا هو الخوف الذي يجب التخلص منه، لأن المستقبل سيكون للأفضل إن شاء الله، ونحن نرى كلّ الذين من حولنا ممن ولدوا فقراء قد امتلكوا مع مرور الزمن منزلاً وزوجة وأطفالاً، وعملاً جيداً وحياة طيبة، أكثر مما تمنوا يوماً..

لا تبـالغ في الخوف من خوض المغـامرة واقتنـاص الفرص، فهناك أشـياء إن ذهبت لن تعود أبداً، أهمها الثقة والفرص، وتذكرْ أنك لن تعيش حتى يموت قلبك..

☆☆ لا تبرزْ لا تعتذرْ لا تخافْ ..

بعضُ الأحيان تظن أنك تبتعد عن المشـــاكل بابتعادك عن الصــراحة، أو تجنب مواجهة الشــريك والصــديق بقول الحقيقة، بينما أنت تخزنها في داخلك ثم تحدث المشـكلة التي لا يُحمد عقباها، ويأتيك ما كنت تحذر. اذهبْ وصـــارح شـــريكك بما في داخلك وتخلص مما يعكر صـفاء العشـرة بينكما، فعلماء النفس يقولون "إن كبت المشـاعر داخل الإنسان تزيد من عدوانيته"..

فإذا أردت شـيئاً تسـتحقه اطلبه ولا تخجل. ربما تظن أن ترك ما تستحق أفضل لك ولصديقك وللمحافظة على علاقتكما الطيبة. على العكس، فإن من الأفضل لك ولصاحبك أن تطلب ما تستحقه،

كما يحدث عندما تطلب البنت من أخوتها بعض الهدايا أو المال، فإنهم يحبونها أكثر..

☆☆ هل الخوف شيء طبيعي ومُسلّم به؟ كلا، هذا خطأ، لأن نتائجه سيئة على صاحبه.

في صباح أحد الأيام أمام المحل الذي استأجرته لبيع الأدوات والعدد اليدوية والإنشائية. لم يكن في الشارع أحد سوى بائع الخضار يرتب المحاصيل التي جلبها منذ الفجر، وعامل النظافة يعمل جاهداً بلا توقف، وأظنه الوحيد الذي لا يأخذ استراحة هذه الأيام، كأنه الرجل الأعلى أجراً في مدينتنا، وهناك بعض السيارات التي تمرّ بين الحين والآخر. فجأة سمعت عامل النظافة ينادي بأعلى صوته على صاحب إحدى السيارات ليتوقف..

عندما توقف السائق ورجع إلى الوراء، كانت هناك بقعة دم صغيرة على الباب الخلفي من جهة اليمين، كأن أحدهم مسحها عمداً بإصبعه، وعلى مسافة من السيارة كان هناك ولد في السابعة من عمره ملطخ ببعض الدماء على وجهه، وعندما يتنفس تخرج فقاعة حمراء من أنفه وفمه.. يتوسل أن يتركوه يذهب، يظن أنه قد أحدث جرماً سيعاقَب عليه..

قام بائع الخضار بسحبه وغسل وجهه ويديه، ومسح التراب عن ملابسه قبل أن يأتي أهله، أما السائق فحاله أشد بؤساً من الصبي، مذعور، خائف، يرتعش، يتوسل إلينا أن نشهد له أمام أهل الفتى بأنه

لم يكن السبب، وأن الصبي خرج يركض من الزقاق وارتطم بالسيارة. يتوسل الجميع بلا استثناء..

البعض يهدئه ويقول له : لابأس لست المذنب، وآخرون يلومونه لأنه كان يقود مسرعاً ولم ينتبه، وهناك بين الحشد من وجدها وسيلة ليعبر عن رجولته المصطنعة، ويمثل دور البطل الذي سئم من تصرفات الناس هذه الأيام، ليقوم بتوبيخ السائق واتهامه باللامبالاة.. وبعضهم وقف على مقربة من السائق وخلفه في حال فكر بالهرب..

السائق يرتجف، وجلّ ما يشغل باله هو التفكير بالشرطة والسجن ومقدار المال الذي سيدفعه للفحص والمستشفى والدكتور، وتعويض الأهل عن الضرر الذي اصاب ابنهم..

عندما حضر جدّ الطفل ووالده وتفحصوا ولدهم جيداً، وأنه بخير وليس به أي إصابة ظاهرة (فقد غسله صاحبنا ونظفه بعناية). ذهب الجد للسائق الذي مازال يرتجف، ووجهه شاحب بلا قطرة دم وكأنه معلق في حبل المشنقة، أخبره أن يذهب لحال سبيله..

عندما انتقلت لمحل ومكان جديد بعد سنتين تقريباً. حدث نفس الأمر ونفس حادثة الدهس مع شخص آخر. سمعت رجل يصرخ بغضب وقوة أمام حشد من الناس: هي قفزت أمامي، هي قفزت أمامي، لماذا لم تمسكيها ؟..

على مقربة منه كانت الأم تحتضن طفلتها وتتفحصها، وقد تبعثر في الشارع كلّ الرمان الذي كانت تحمله البنت في الكيس. كان يصرخ على الطفلة والأم، ويصرخ على الرجال إذا أراد أحدهم أن يلقي باللوم عليه ..

لم يستطع أي شخص أن يرفع صوته، ولم يطلب أحد منه رخصة القيادة. البعض ممن كانوا ضمن الحشد قد انسحبوا حتى لا يدخلوا في نطاق من كانوا يتلقون الصراخ والشتيمة. ثم صعد سيارته وذهب غاضباً... أخافهم بصراخه وصوته رغم جسده النحيل وقصر قامته..

هكذا هي الحياة ، فأنت من تختار المكان والزاوية التي تقف فيها ، ويراك الناس هناك حيث وقفت ، ويعاملونك من خلالها..

فلا تظن أن الخوف من الأمور التي لا يمكن التخلص منها. صحيح أننا نخاف بسبب كثرة الوقوع في الأخطاء، وكثرة حالات الخوف التي مررنا بها منذ الصغر، فنظن أن هذا طبع لن يتغير..

غير صحيح، والأمر على العكس تماماً، كلنا نخاف، لكن، لابدّ أن نضع حداً لهذا الخوف ونتخلص منه، فلا يزال الإنسان يخطئ ويتعلم في كلّ المجالات حتى يكتمل، وينضج في عمر معين..

والحلُّ لمشكلة الخوف بسيط جداً، فإن كنت تعاني من الخوف الشديد، تدرب على فنون القتال لعدة أشهر فقط، ستزيد ثقتك بنفسك وتظهر آثارها في كل تفاصيل حياتك.. وبعد أن تنتهي دورة التدريب هذه ستندم لأنك تأخرت ولم تقم بهذه الخطوة منذ زمن..

قام أحد علماء النفس بتوظيف أحد المجرمين في تجربة علمية مثيرة للجدل، والتي لاقت معارضة شديدة من الكثيرين. قام بهذه التجربة مقابل تعويضات مالية لعائلته، وأن يُكتب اسمه في البحوث العلمية، إضافة إلى الكثير من المغريات الأخرى. وهذا يحصل بالطبع بعد التنسيق مع المحكمة العليا وبحضور مجموعة من العلماء..

أجلَسَ الدكتور هذا المجرم المحكوم عليه بالإعدام واتفق معه على أن يتمّ إعدامه بتصفية دمه، بحجة دراسة التغيرات التي يمر بها الجسم أثناء تلك الحالة. قام بعصب عيني الرجل، ثم ألصق خرطومين رفيعين على جسده بدءاً من قلبه وانتهاءً عند مرفقيه، وضخ فيهما ماءً دافئاً بدرجة حرارة الجسم يقطران عند مرفقيه، ووضع دلوين أسفل يديه، وعلى بعد مناسب حتى تسقط فيهما قطرات الماء من الخرطومين، وتصدر صوتاً يشبه سقوط الدم المسال، كأنه خرج من قلبه ماراً بشرايين يديه ساقطاً منهما في الدلوين ..

بدأ تجربته متظاهراً بقطع شرايين يد المجرم ليصفي دمه وينفذ حكم الإعدام كما هو الاتفاق. بعد عدة دقائق لاحظ الباحثون شحوباً واصفراراً يعتري جسم المحكوم عليه بالإعدام، فقاموا ليتفحصوه عن قرب، وعندها اكتشفوا وفوجئوا جميعاً بأنه قد مات فعلاً..

مات بسبب خياله الذي عاش اللحظة بكل تفاصيلها مع انه لم يفقد قطرة دم واحدة، والأكثر غرابة أنه مات في الوقت نفسه الذي يستغرقه الدم ليخرج من الجسم ويسبب الموت. مما يعني أن العقل يعطي أوامر لكل أعضاء الجسم بالتوقف عن العمل استجابة للخيال، كما يستجيب للحقيقة تماماً..

الخوفُ أنت تصـنعه، وتورط نفسـك فيه.. عندما تفكر بشـيء وتعظمه في داخلك يزداد خوفك منه..

فاحذرْ من التشـبع بالخوف، فهذا الخوف يشـبه التماثيل التي كان يصنعها المشركون قبل الإسلام، ويتخيلون أنها تضر وتنفع. فيذبح الفقير قرباناً لصـنم يسـمى "اللّات" وأطفاله يقتلهم الجوع.. ويصـنع "للعُزّى" قوة في مخيلته ثم يرتجف عند ذكرها..

هذا حال الأصـنام قديماً .. يصـنعها الناس بأيديهم ويخافون منها ، فيعبدونها ، ثم يُقاتِلون في سبيلها فتكون سبباً لهلاكهم ..

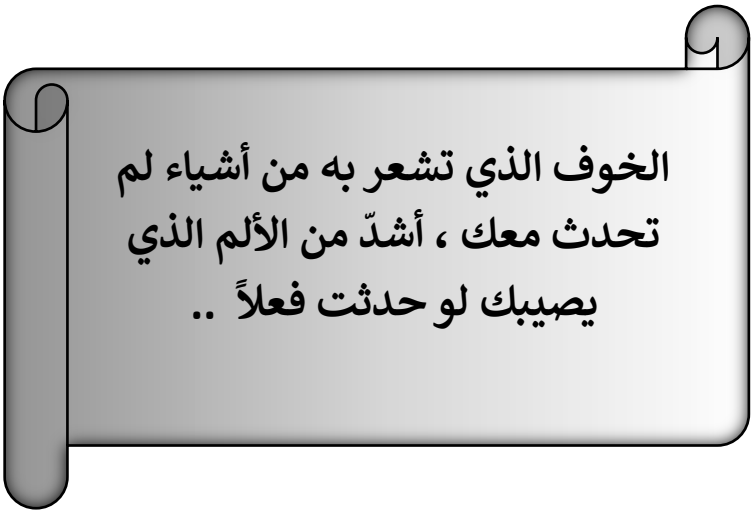
الخوف الذي تشعر به من أشياء لم
تحدث معك ، أشدّ من الألم الذي
يصيبك لو حدثت فعلاً ..

الإعصار الذي يَسلُبك ما تُحب ...

يُحكى قديماً أن رجلاً شـجاعاً شـديد البُنية كان يرعى الجمال بأحد الأودية البعيدة عن بيته فرأى شـجرة أعجبته، قال في نفسـه: إن شجرة كهذه ينبغي أن يُصنع منها قوساً. فكان يمرُّ عليها يوماً بعد يوم حتى استوت، فقطعها وجففها ودهنها، ثم صنع منها قوساً وربط بها وتراً، ثم صنع من أغصانها خمسة أسهم..

بدأ يقلبها بين يديه وهو معجب بها أشـد الإعجاب، ثم أراد أن يجرب سلاحه الجديد، فخرج وقت الغروب حتى وصل لمنطقة تكثر فيها الأشجار والأعشاب والحيوانات، واختبأ بين الحشائش ينتظر. مرّ قطيع من الحمير الوحشية فرمى واحداً منها، فإذا السهم يصيبه فيسقط الحمار صـريعاً ثم يمرق السـهم من الجانب الاخر، فظن الرجل أن السهم أخطأ الحمار الوحشي..

مكث على حاله سـاعة أخرى فمر قطيع ثانٍ، فرماها فصـنع السهم الثاني مثلما صنع الأول، وهكذا حتى رمى أسهمه الخمسة كلها، وكلٌ منها يصيب الحيوان فيسقط صريعاً لكن السهم من قوته يمرق إلى الجانب الآخر، فيظن أن أسـهمه تذهب بعيداً فلا تصـيب الحيوان. فاشتاط غضباً وكسر تلك القوس..

فلما أصبح، نظر فإذا الحمار الوحشي ممدد بين الحشائش وبقية الحيوانات صريعة حوله، وأسهمه مضرجة بالدم.. فندم على تعجله وكسره للقوس أشد الندم، ومن شدة الندم عضّ إصبعه بأسنانه فقطعها..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: التأنّي من الله، والعجلة من الشيطان ..

لن تحصل على شيء وأنت ترغب به بشدة، فشراء شيء تحبه سيكلفك أكثر، والاستعجال في بيع حاجة سوف يقلل من سعرها.. وكلّ منا قد جرب هذا.. اتركْ الأشياء وسوف تأتيك كما تُحب، تظاهر بعدم الاهتمام بالشيء وسوف تربحه..

حتى في تربية الأبناء فإن الإلحاح الشديد ينتج عنه ولد سيئ الطباع وعصبي المزاج..

ودائماً في العجلة الندامة، إلا في العبادة فهي غنيمة..

ها أنت تقرأ الآن في الصفحة على اليمين، وتضع إصبعك تحت الورقة على اليسار استعداداً لقلبها.. إنها من الطباع التي ولدت معك..

الاستعجال يحطم كلّ ما تعبت لأجله ويضيعه. لا تستعجل ولا تتسرع في الحكم على الأمور التي تواجهك.. أعط الأشياء وقتاً للتفكير يناسب أهميتها، فالحاجات الصغيرة خُصص لها وقت قليل لتحكم بشأنها، والمهمة الأكبر امنحها وقتاً أطول،

أما الزواج والمشاريع التي تحدد مصيرك، فامنحها المزيد من الوقت، وزد عليه من الوقت أضعاف، لتفكر على مهل وتستخلص الحكم المناسب..

لا تستعجلْ بإعطاء الوعود مقدماً، واترك كلّ شيء حتى يحين وقته. لو طُلب منك القيام بعمل بعد شهر من الآن وأنت تعلم أن لديك عذر في ذلك الوقت، اتركه حتى يحين موعده ثم أخبرهم، لأنك إن أخبرتهم مقدماً سيقولون: يتهرب من واجبه.... وربما يلغى هذا العمل بعد شهر، وأنت الخاسر الوحيد.

حتى مع أطفالك، سوف يطلبون منك الذهاب برحلة في موسم الربيع القادم، وأنت تعلم أنك لديك ما يمنعك ويشغلك في ذلك الوقت، لكن ربما تلين لك الصعاب مع مرور الأيام... فلا فائدة من جعلهم يبكون مقدماً..

يحكي شـــاب عن تجربة لطيفة مرّ بها ، قائلاً: كنت أقف منتظراً دوري أمام شـباك التذاكر لأشـتري بطاقة سـفر بالحافلة ، وكانت أمامي سـيدة ستينية تحول بيني وبين شباك التذاكر ، وطال حديثها مع الموظفة التي قالت لها في النهاية: الناس ينتظرون، أرجوكِ تنحّي جانباً !..

ابتعدت المرأة خطوة واحدة لتفسح لي المجال، وقبل أن أشتري بطاقتي سـألت الموظفة عن المشـكلة، فقالت لي بأن هذه المرأة معها ثمن بطاقة السـفر ولكن ، ليس معها قيمة بطاقة دخول المحطة ، وتريد أن تنتظر الحافلة خارج المحطة وهذا ممنوع ..

قلتُ لها: أعطها البطاقة ، وأنا سـأدفع ، وتراجعتُ قليلاً وأعطيتُ السيدة مجالاً لتعود إلى دورها بعد أن نادتها الموظفة مجدداً..

اشـــترت الســـيدة بطاقتها ووقفت جانباً وكأنها تنتظرني ، فتوقعت أنها تريد أن تشـكرني ، إلا أنها لم تفعل ، بل انتظرتْ لتطمئن أنني اشـتريت بطاقتي وســـأتوجه إلى المحطة لركوب الحافلة ، وقالت لي بصـــيغة الأمر: احمل هذه ، وأشارت إلى حقيبتها .. كان الأمر غريباً جداً بالنسبة لي ، كيف تتعامل معي هذه السيده بهذه الطريقة ..

أنا بدوري وبدون تفكير حملت لها حقيبتها واتجهنا ســوية إلى الحافلة ، ومن الطبيعي أن يكون مقعدي بجانبها لأنها كانت قبلي تماماً في الدور..

حاولت أن أجلس من جهة النافذة لأستمتع بمنظر تساقط الثلج الذي بدأ منذ ساعة ، لكن السيدة منعتني من الجلوس بجانب النافذه وجلستْ هي من جهة النافذة دون أن تنطق بحرف واحد ، نظرت أمامي ولم أعرها اهتماماً ، إلى أن التفتت إليّ تنظر في وجهي و تحدق فيه ، وطالت التفاتتها نحوي دون أن تنطق ببنت شفة ، وأنا أنظر أمامي ، حتى إنني بدأت أتضايق من نظراتها التي لا أراها ، لكنني أشعر بها ، فالتفتُ إليها.. عندها تبسمتْ قائلة:

- كنت أختبر مدى صبرك وتحملك ..
- صبري على ماذا ؟
- على قلة ذوقي ، أعرفُ تماماً بماذا كنتَ تفكر ..
- لا أظنك تعرفين بما كنت أفكر ، وليس مهماً أن تعرفي !
- حسناً ، سأقول لك لاحقاً ، لكن بالي مشغولٌ الآن بكيف سأرد لك الدين ..
- الأمر لا يستحق ، لا تشغلي بالك ..
- عندي حاجة سأبيعها الآن وسأرد لك النقود ، فهل تشتريها أم أعرضها على غيرك ؟
- هل تريدين أن أشتريها قبل أن أعرف ما هي ؟
- إنها حكمة ، أعطني ثمنها ، لأعطيك الحكمة ..
- وهل ستعيدين لي المال إن لم تعجبني الحكمة ؟
- لا .. فالكلام بعد أن تسمعه لا أستطيع استرجاعه ، ثم إن المال يلزمني لأنني أريد أن أرد به دَيني ..

أخرجتُ لها المال من جيبي ووضعته في يديها وأنا أنظر إلى تضاريس وجهها .. لكنني لم أسألها عن شيء ، أنا على يقين أنها ستحدثني عن نفسها فرحلتنا لا زالت في بدايتها ، أغلقَت أصابعها على هذه القطعة النقدية التي فرحت بها كما يفرح الأطفال عندما نعطيهم بعض النقود ..

وقالت: أنا الآن متقاعدة، كنت أعمل مدرّسة لمادة الفلسفة ، جئت من مدينتي لأرافق إحدى صديقاتي إلى المطار ، أنفقتُ كل ما كان معي وتركتُ ما يكفي لأعود إلى بيتي ، إلا أن سائق التاكسي أحرجني وأخذ مني مالاً زيادة عن الأجرة ، فقلت في نفسي سأنتظر الحافلة خارج المحطة ، ولم أكن أدري أن ذلك ممنوع... ولقد أحببتُ أن أشكرك بطريقة أخرى بعدما رأيت شهامتك ، حيث دفعت عني دون أن أطلب منك... اعرف أن الموضوع ليس مادياً ، وستقول لي بأن المبلغ بسيط ، سأقول لك أنت سارعت بفعل الخير ودونما تفكير ..

قاطعتُ المرأة مبتسماً:

- أتوقع بأنكِ ستحكين لي قصة حياتكِ ، لكن أين البضاعة التي اشتريتُها منكِ ؟ أين الحكمة ؟
- فقط دقيقة ..
- سأنتظر دقيقة ..
- لا ، لا ، لا تنتظر .. "فقط دقيقة" هذه هي الحكمة !
- لم افهم شيئاً !

- لعلك تعتقد أنك تعرضتَ لعملية احتيال ؟
- ربما !
- سأشرح لك ، الحكمة هي " فقط دقيقة " لا تنسَ هذه الكلمة أبداً ، في كل أمر تريد أن تتخذ فيه قراراً ، عندما تفكر في أي مسأله في الحياة ، وعندما تصل إلى لحظة اتخاذ القرار أعطِ نفسك "فقط دقيقة" دقيقة واحدة إضافية، ستون ثانية لاغير .. هل تعلم كم من المعلومات يستطيع دماغك أن يعالج خلال هذه الستون ثانية ؟.. في هذه الدقيقة التي ستمنحها لنفسك قبل اتخاذ قرارك ، قد تتغير أمور كثيرة .... فمثلاً: إن كنت قد قررت بأنك صاحب حق وأن الآخر قد ظلمك ، فخلال هذه الدقيقة ربما تكتشف بأن الطرف الآخر لديه حق أيضاً ، أو جزء من هذا الحق ، وعندها قد تغير قرارك تجاهه .. إن كنت نويت أن تعاقب شخصاً ما ، فإنك خلال هذه الدقيقة بإمكانك أن تجد له عذراً فتخفف عنه العقوبة ، أو تمتنع عن معاقبته وتسامحه نهائياً .... دقيقة واحدة بإمكانها أن تجعلك تعدل عن اتخاذ خطوة مصيرية في حياتك لطالما اعتقدت أنها هي الخطوة السليمة ، في حين أنها قد تكون كارثية .. دقيقة واحدة قد تغير مجرى حياتك وحياة غيرك ، وإن كنت من المسؤولين فإنها قد تغير مجرى حياة مجموعة كاملة من البشر!.... هل تعلم أن كل ما شرحته لك عن الدقيقة الواحدة لم يستغرق أكثر من دقيقة واحدة ؟

- صـــحيح، وأنا قبلتُ برحابة صـــدر هذه الصـــفقة وحلال عليكِ ثمنها..

بسطت يدها وقالت : تفضـل ، أنا الآن أردُّ لك الدين وأعيد لك ما دفعته عني عند شـــباك التذاكر ... والآن أشـــكرك كل الشـــكر على ما فعلته لأجلي..

أعطتني النقود ، تبســمتُ في وجهها واســتغرقت ابتســامتي أكثر من دقيقة.. لأنتبه إلى نفسـي وهي تأخذ رأسـي بيدها وتقبل جبيني قائلة: هل تعلم أنه كان بالإمكان أن أنتظر ساعات دون حل لمشكلتي .. فالآخرون لم يكونوا ليدروا ما هي مشكلتي ، وأنا ما كنتُ لأستطيع أن أطلب المال من أحد أبداً !..

لم أتوقع بأن الزمن سيمضـي بسرعة ، حتى إنني شعرت بنوع من الحزن عندما غادرت الحافلة..

عند وصـــولنا إلى مدينتها في منتصـــف الطريق تقريباً ، وقبل ربع ساعة من وصولها حاولتْ أن تتصل من جوالها بابنها كي يأتي إلى المحطـة ليأخذها ، ثم التفتتْ إليّ قـائلـة: على مـا يبدو أنـه ليس عنـدي رصيد .... فأعطيتها جوالي لتتصل ، المفاجأة أنني بعد مغادرتها للحافلة بربع ساعة تقريباً استلمتُ رسالتين على الجوال، الأولى تفيد بأن هناك من دفع لي رصيداً لا بأس به ..

والرسالة الثانية كانت منها وتقول فيها : كان عندي رصيد في هاتفي لكنني احتلتُ عليك لأعرف رقم هاتفك فأجزيكَ على حسن فعلتك ، إن شئت احتفظ برقمي ، وإن زرت مدينتي فاعلم بأن لك فيها أمّاً ستستقبلك ..

فرددتُ عليها برسالة قلت فيها: عندما نظرتُ إلى عينيك خطر ببالي أنها عيون ثعلبية، لكنني لم أجرؤ أن أقولها لك .. أتمنى أن تجمعنا الأيام ثانية، أشكركِ على الحكمة واعلمي بأنني سأبيعها بمبلغ أكبر بكثير..

☆☆☆☆

عندما يطلب أطفالك زيادة المصروف اليومي، لا تتسرع، خذْ وقتاً وفكرْ بشروط تضعُها مقابل الاستجابة لطلبهم، كالخروج مع الأصدقاء بعد صلاة العصر، والدخول للبيت قبل أذان المغرب، وشروط الدراسة، وقفل الهاتف وتركه في الصالة وعدم الاحتفاظ به عند الذهاب للنوم. كلّ هذه الشروط وغيرها بحسب ما يقتضيه الحال، عليك وضعها مقابل الموافقة على مضاعفة مصروفهم اليومي، أو غيرها من الطلبات..

ونقيض هذا الشـــر وآلـة التحطيم هذه، هو الخير كلـه، إنـه الصبر، نعم، الصبر الذي ينقذك دائماً، وينتشلك من الحفرة التي نبشتها بتسرّعك، ومن أبدع ما يدل على أهميته وفضله هو حديث النبي صلى الله عليه وســـلم حين قال: وما أُعْطيَ أَحَدٌ عطاءً خيراً وأَوْسَـــعَ من الصَّبْر..

كلّ شـــيء في البداية صـــعب ثم يهون، مهما كان من خير أو شر.. القيام به والصبر عليه صعب في بدايته فقط، ثم مع مرور الوقت يصبح فعله سهلاً، ولا تدري كيف مرّ وانقضى..

اصبرْ، ثم اصبر، ثم بعد ذلك اصبرْ. لاتكنْ عجولاً، لا تتسرع باتخاذ القرارات عند حدوث النوازل، ولا تهدم علاقة زمنها العمر كلّه بمشكلة واحدة صغيرة..

عندما يتداعى جسـرك الذي صـنعته بيديك وتعبك قبل سـنين طوال، واليوم تغمره المياه للنصـــف وتعصـــف به الرياح، يتشـــقق، ويتكسر تحت قدميك، وتنوي إنشاء جسر جديد وطريق غيره..

فاصـــبر ولا تتســـرع، لا تهدم القديم حتى تنتهي من إنشـــاء الجديد..

وهذا هو الحل الأمثل إذا أردت تغيير عملك، أو إنفاق كلّ ما تملك لتستحدث مشروع آخر، فلا تستعجل بترك عملك القديم حتى تضمن الجديد وتبدأ به ..

لا تتسرع بإنفاق وتبذير ما تملك لأنك تشعر أنك ضمنت مستقبلك من خلال مشروعك الجديد ، فربما تغير رأيك بعد أيام أو يُلغى المشروع أو يُخفق ، ويتلقّفك الإفلاس بلا رحمة ..

هذا هو الاستعجال والتسرع ، يشبه الإعصار .. إذا لم تتنحَ عنه جانباً، وتتخلص منه ، سيهاجمك فيحطم ما بنيت ، ويسلبك ما تُحب ..

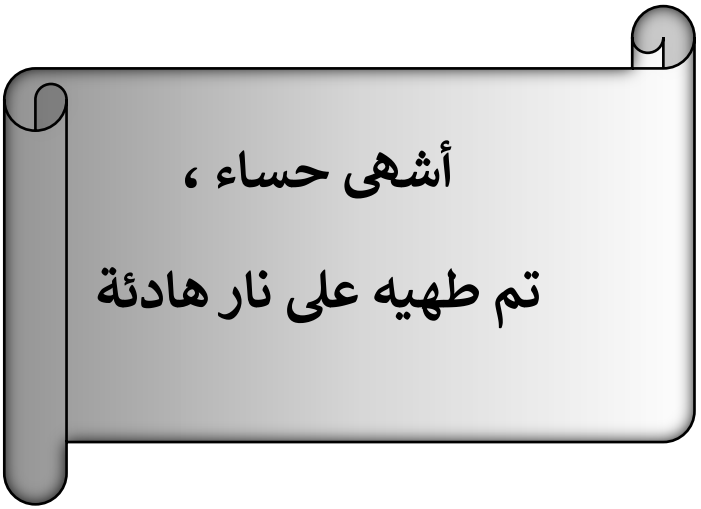
أشهى حساء ،
تم طهيه على نار هادئة

الحَزاز ...

لابدّ أنك سـمعت عن مرض "الحزاز". هو مرض جلدي يبدأ بحكة في الجلد، ويزيد الهرش من هذه الحكة ، تتسـبب دورة الهرش هذه في أن يصبح الجلد المصاب سميكاً، وقد تكون الحكة شديدة ، أو متكررة إلى حد يُعيق نومك وأداءك اليومي ونمط حياتك . ويعتمد نجاح العلاج على مقاومة الرغبة في حك أو هرش المناطق المصابة . تصبح المنطقة أكثر تضرراً عندما تخدشها أو تحكّها، كلما خدشت جلدك كلما زادت الحكة..

فالحزن يشبه هذا المرض اللعين إلى درجة لا تصدق، كلما توغلت فيه كلما زاد وأصبح غليظاً يصعب علاجه، بينما يمكنك التخلص منه عندما تتجاهله..

عاشت سيدة مع ابنها الوحيد في سعادة ورضى حتى جاء ملك الموت وأخذ روح الإبن، حزنت السيدة جداً لموت ولدها ولكنها لم تيأس، بل ذهبت إلى حكيم القرية وطلبت منه أن يخبرها الوصفة الضرورية لاستعادة ابنها إلى الحياة، مهما كانت أو صعبت تلك الوصفة..

أخذ الحكيم نفساً عميقاً وشرد بذهنه ثم قال: أنت تطلبين مني وصفة صعبة جداً، حسناً، احضري لي حبة خردل واحدة بشرط أن تكون من بيت لم يعرف الحزن مطلقاً..

وبكل همة أخذت السيدة تدور على بيوت القرية كلّها وتبحث عن هدفها، حبة خردل في بيت لم يعرف الحزن مطلقاً. طرقتْ السيدة باباً، ففتحتْ لها امرأة شابة فسألتها: هل عرف هذا البيت حزناً من قبل؟ ابتسمت المرأة في مرارة وأجابت: وهل عرف بيتي هذا إلا كل الحزن!.. وأخذت تحكي لها عن زوجها الذي توفى منذ سنة وترك لها أربعة من البنات والبنين، ولا مصدر لإعالتهم سوى بيع أثاث الدار الذي لم يتبقَ منه إلا القليل..

تأثرت السيدة جداً وحاولت أن تخفف عنها أحزانها، وبنهاية هذه الزيارة صارتا صديقتين، ولم ترد أن تدعها تذهب إلا بعد أن وعدتها بزيارة أخرى، فقد فاتت مدة طويلة منذ أن فتحت قلبها لأحد تشكي له همومها..

وقبل الغروب دخلتْ السيدة بيت آخر ولها نفس المطلب، ولكن الإحباط سرعان ما أصابها عندما علمت من سيدة الدار أن زوجها مريض جداً وليس عندها طعام كاف لأطفالها منذ فترة، وسرعان ما خطر ببالها أن تساعد هذه السيدة..

فذهبت إلي السوق واشترت بكل ما معها من نقود طعام وخضار ودقيق وزيت، ورجعت إلي سيدة الدار وساعدتها في طبخ وجبة سريعة للأولاد، واشتركت معها في إطعامهم. ثم ودعتها على أمل زيارتها في مساء اليوم التالي..

وفي الصباح أخذت السيدة تطوف من بيت إلي بيت تبحث عن حبة الخردل، طال بحثها ولكنها للأسف لم تجد ذلك البيت الذي لم يعرف الحزن مطلقاً، لكي تأخذ من أهله حبة الخردل. ولأنها كانت طيبة القلب، حاولت مساعدة كل بيت تدخله في أفراحه وأتراحه..

وبمرور الأيام أصبحت السيدة صديقة لكل بيت في القرية، نسيت تماماً أنها كانت تبحث في الأصل عن حبة خردل من بيت لم يعرف الحزن. ذابت في مشاكل ومشاعر الآخرين، ولم تدرك قط أن حكيم القرية قد منحها أفضل وصفة للقضاء على الحزن، حتى ولو لم تجد حبة الخردل التي كانت تبحث عنها..

فالوصفة السحرية قد أخذتها بالفعل يوم دخلت أول بيت من بيوت القرية..

لا أحد يخلو من الهموم والمصائب، لكنها تختفي بالمشاركة والعطاء. لن تحصل على السعادة إلا بالعطاء، ويخطئ من يظن أنه سيصبح سعيداً بالأخذ وامتلاك الكثير والكثير. جربْ أن تساعد فقيراً ولو برغيف خبز، وستجد أن فرحتك أكبر من فرحته..

لا تظن أن كل من يَضحك ويُضحِك الناس هو مبتهج ومسرور وخال من الهموم.. الممثل العراقي المحبوب "جاسم شرف" أضحك الجميع لأجيال وأجيال، وعندما قارب الستين من العمر يحكي موقفاً حدث معه ويقول: كنت أقوم بالتمثيل وأداء العمل الكوميدي اليومي في إحدى المسرحيات، بعد فترة توفي والدي فبقيت حزيناً في البيت. اتصل المخرج وقال: تعال واضحِك الناس. قلت له: لا أستطيع، إن أبي توفي قبل فترة قصيرة.. فقال: وما ذنب الناس ! اربعمئة عائلة بانتظارك..

يقول جاسم شرف: ذهبت وأضحكتهم وأنا أبكي في داخلي، وأتقطع حزناً على أبي..

فلا تظن أن الناس أسعد منك حالاً، ولكن هناك من يدوس فوق الحزن ليتجاوز الموقف ويتحمل الألم وحده، حتى لا يؤذي غيره..

وإذا كنت تعتقد أن حظك سيىء، فتذكر هذا السجين البرازيلي الذي قضى خمس سنوات يحفر نفق للهروب، ليجد نفسه أخيراً في غرفة حراس السجن..

☆☆ الحزن يزور الجميع على تنوعهم، لذلك تجدهم يتحدثون عنه باستمرار، وهذه بعض الاقتباسات من أقوال المشاهير:

☆☆ ما من لذة يتمتع بها الإنســـان في حياته، إلا ويشـــوبها الكدر أو يعقبها الألم، إلا لذة البر والإحسان..

☆☆ تفكر كثيراً بالماضـــي وتفكر كثيراً بالمســتقبل، أخبرني كيف ستستمتع بهذا اليوم ؟..

☆☆ احترسْ من ذكرياتك، فالوجع يزورك مرة واحدة وأنت لا تتوقف عن زيارته ..

☆☆ أليس مملاً أن تحزن يومياً لنفس السبب !..

☆☆ الممثل الصـــامت "تشـــارلي تشـــابلن" قال نكتة أمام الحضور فضحك الجميع، أعادها مرة ثانية فضحك البعض فقط، حين أعادها للمرة الثالثة لم يضـــحك أحد، فقال: إذا لم تســتطع أن تضـــحك وتضحك لنفس النكتة، فلماذا تبكي وتبكي لنفس المصيبة..

والأدهى من هذا أننا ننجذب للحزن، نحب الأفلام الحزينة والقصص المؤلمة والروايات البائسة، نحب أفلام الكارتون القديمة، عهد الأصدقاء، فلم الهارب، بائع الحليب، البؤساء، سالي، ولازلنا نحبها إلى اليوم، لأن فيها من الحزن والحرقة والشجن، ما يجعل الطفل يُخفي دموعه عن والديه..

الحزن يولد شرارة صغيرة مزعجة، فإما أن تتجاهله وتحافظ على عقلك من الضياع، أو تتسلق معه خطوة بخطوة نحو الغضب، ثم الصداع المستمر، اضطراب النوم، آلام المعدة وفقدان الشهية، الإرهاق، وصولاً إلى "متلازمة القلب المنكسر"، وهو مرض لا يُستهان به إطلاقاً..

تمضي وقتاً طويلاً تفكر في حلٍّ للمشكلة لتريح قلبك، ثم تكتشف أنك تزداد حزناً! ولو راقبت نفسك لوجدت أنك تفكر في المشكلة نفسها وليس الحل. فأنت تُذكِّر نفسك بها كلما أردت الخلاص، وهذا سبب حزنك..

سيؤثر عليك الحزن حتى في الأشياء الصغيرة، فلا تذهب للسوق وأنت حزين أو غاضب أو حتى جائع، لأنك ستشري أكثر بكثير مما تحتاج. فالحزن والغضب يدفعك للإسراف والانفاق والتبذير حتى لو كنت فقيراً ... فلا تتخذ قرارات وأنت حزين وغضبان، ولا تعطي وعوداً وأنت فرحان..

قالت سيدة عجوز لأحفادها يوماً ما: أنا لم أركب قطاراً طوال حياتي، فقاموا علي الفور بشـــراء تذكرة لها كي تركب قطاراً متجهاً لمدينة قريبة وتزور صديقةً لها. استقلت العجوز القطار وجلست على أحد المقاعد، وســـرعان ما لاحظت أن غطاء المقعد ممزقاً فجمعت متعلقاتها بغضـــب، وانتقلت إلى مقعد آخر في المقدمة. لكنها انزعجت أيضـــاً لوجود طفل يبكي عبر ممر العربة، فانتقلت هذه المرة الى مؤخرة العربة..

وجدت أن الشـــمس ســـاخنة جداً في هذا المكان، فجمعت متعلقاتها من جديد وانتقلت إلى الجانب الآخر وهي منهكة. وأخيرا نظرت للخارج وتأملت منظر الريف الجميل، ولكن في تلك اللحظة سُمِع صوت الموظف المسؤول عن القطار ينادي باسم المدينة التي ستنزل بها..

فجلست السيدة المسكينة لبرهة قصيرة وهي في حيرة شديدة، ثم قالت: لو كنت أعلم أن الرحلة قصيرة هكذا لما كنت قضيت كلّ هذا الوقت أشكو وأتذمر، بل كنت جلست أستمتع وأتأمل جمال الطبيعة من أول مقعد جلست عليه..

هكذا هي أعمارنا، فلا تضيعها بالتذمر والشكوى..

اشـــتكى رجل حاله إلى حكيم فأجابه: هل جئت إلى هذه الدنيا ومعك كل هذه المشاكل؟ فقال الرجل: لا.. قال الحكيم: هل عندما تترك الدنيا ستأخذ معك كل هذه المشاكل إلى الآخرة؟ فقال الرجل: لا.. فقال الحكيم: سبحان الله، شيء لم تأت به، ولن يذهب معك. لماذا تعطيه كلّ هذا الاهتمام..

لا قصـــص نرويها لأحفادنا بلا حزن ومعاناة، لا حكايات نســـردها لهم بلا ندوب، لا شـــيء ننقله بلا أثر لعلامات، أو جروح وإصـــابات تثير وتحفز حماســـهم. فحتى هذه اللحظات المؤلمة عندما نتذكرها يوماً سنقول: "كانت ذكريات جميلة"..

وتيقن أن كلّ ما يصيبك هو خير لك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه..

☆ ☆ ☆

ثم اذهبْ لسريرك وحاول أن تنام، فربما هذا الحزن والغضب ســببه الجوع والتعب. جرب أن تنام، وفي الغالب لن تســتطيع بســبب حالتك وما مرّ عليك اليوم.. إليك طريقة مجربة ومضمونة للنوم.. تمددْ على الجانب الذي ترتاح إليه، وأغمضْ عينيك، وعدّ من مئة إلى الواحد بالمقلوب ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٩٧، ٩٦ ،،،،،، وهكذا..

والجزء الأهم في هذه العملية أن تتخيل الأرقام وترسمها في خيالك. لن يمرَّ عليك إلا وقت قصير، ولن تَعُدّ إلا أرقام بسيطة، وبعدها كل بساطة ستسمع: "انهضْ عزيزي، لقد نمت لوقت طويل"..

أما إن بقيت تتكوّر كالقُنفذ وتندب حظك، وتغرق في أحلام الخيال والفانتازيا، وتنتظر حدوث شيء غامض يجعلك سعيداً، فأعدك أنك ستنتظر الى الأبد..

أطلت عليك بالكلام أيها الحبيب . . . ولكن هذا الأمر هو الأكثر تكراراً في حياتك، ولا يمكنني أن أتخيلك وأنت تعاني منه، فتعذب نفسك وتعذب من يحبك ويعيش بقربك..

لا يمكنني رؤية هذا دون أن أقدم لك بعض العون، وليكن الله خير عون لك..

فلا تحزنْ لقلة المال وعسر الحال ، فالعمر طويل .. وربما يتغير حالك وتصبح ثرياً ، وفي ذلك الوقت ستحتاج إلى صحتك التي خسرتها بسبب الحزن ..

لا تنتحر اليوم ، ربما تموت غداً ..

المسافة قريبة ...

في مرحلة الدراسة الإعدادية كنت أنا وأصدقائي في "جزيرة بغداد السياحية" رأيت شاب عمره ثلاثين عام تقريباً يتوسط ثلاث فتيات، واحدة عن يمينه واثنتان عن يساره، ويتبين من ملامحهم وملابسهم أنهم من العوائل الميسورة الحال، ولا يتعدى كون الفتيات من عائلته أو أقربائه، وخلفه ما يقارب خمسة عشر من المراهقين، منهم من يرمي كلمة في غير محلها وآخر يلمس يد إحدى الفتيات، وأكثر..

وكأن الشاب قد بلعته الأرض، كان خائفاً أكثر من البنات اللاتي كن معه، وجهه نشف من أي قطرة دم، لا يلتفت من شدة الرعب الذي احتواه، ينظر للأمام ويمشي مسرعاً، وتمشي بجانبه الفتيات..

لقد آلمني المنظر بطريقة لا أستطيع وصفها، الشاب يمشي مسرعاً، والبنات لا تدري الى أين ستؤول الأمور بعد قليل، والأولاد يتجمعون أكثر. يبدو أنه يواسي نفسه ويخبرها أنه يمسك يده عن المشاكل خوفاً على البنات اللاتي معه لو تأزمت الأمور أكثر..

كان يحتاج في ذلك الموقف لصيحة واحدة فقط ليتفرق الأولاد بين الأشجار ويتبدد شرهم، ولكنه من خوفه الشديد لم يستطع حتى أن يفتح فمه..

رأيته من بعيد في منظر حزين لا يفارق بالي إلى اليوم، ثم رأيت مجموعة أخرى من الأولاد بمختلف الأعمار.. يحملون أدوات موسيقية، دفوف ومزهر وطبل، مرقوا مسرعين من خلفنا كأنهم مدعوون لحفلة تحارش جماعية، ثم سمعت أحدهم ينادي رفاقه مشجعاً لهم، ليسرعوا قبل أن تفوتهم الفرصة:

يلا شباب، تعالوا بسرعة، والله ما يتكلم ولا يسوي شي...

☆ ☆ ☆

وأنت تعيش يومك وتحاول أن تصل لأعلى درجات الراحة النفسية والجسدية، ومهما كانت طريقتك للحصول على هذه الراحة، ونظرتك للأمور، ستواجه الشر ويأتيك من كل جانب.. حتى من يظن أنه يمشي بجانب الحائط ويتجنب أي بادرة لمشكلة، فلابدّ أن يجد نفسه في زاوية حرجة مع الشر، ولا مفرّ منه إلا بمواجهته..

الأمر الأكثر أهمية الذي يجب معرفته في مثل هذه الحالات، أن المشـــكلة لن تأتيك مرة واحدة، فلن يأتي شـــخص ويرفع قطعة من الحديد ويهوي بها على رأسك بدون سبب، لن ينقلب عليك زميلك في العمل أو الدراسة ويكرهك فجأة..

تأتي صباحاً وتحييه فينهض من مكانه ويتهجم عليك بالصراخ والســـب، ويحيك لك المكائد حتى تُطرد من عملك.. كلا! لن يحدث الأمر بهذه الطريقة، وإنما تجري الأمور بالتسلسل، تتسلق الأحداث خطوة بخطوة..

ولهذا عليك أن تكتشف هذه الخطوات التي هي سبب مصائبك، واحدة تلو الأخرى، وتحاول أن تتخذ ما يناسبها من الحلول..

☆☆ الخطوة الأولى ..

قبل أن تبدأ، ثقْ بأن كلّ ما يصـــيبك ســـببه أنت، انظرْ لحالك وشـخصـك وحياتك اليومية، راقبْ نظرتك للناس من حولك، إذا كنت تظن أنك مؤدب وأفضل من غيرك فأنت غير مؤدب.. لا تقلْ أنا أحترم الناس ولا أؤذي أحد، ولكن عندما يؤذيني شـخص يكون عقابه قاسـياً، فأنت تجبر الناس لدفع ثمن طيبتك و تحسب نفسك متفضل عليهم..

هل تظن أنك محق دائماً وغيرك قليل الأدب، أو تحاول تغيير العالم، أو تريد أن تجبر الناس على مبدئك. عليك أن تتذكر أن ما تراه اليوم من عيوب في الناس، هكذا كان حالك قبل بضع سنين، أو أنك كنت أسوء منهم..

فإن أردت سحب غيرك للخير فافعلها وأنت تحبه، وأنت تريد له النفع حقاً، وليس أن تمُّن عليه وتتكبر..

لا يسلم الإنسان من الخطأ، لذلك عليك أن تلتمس لهم الأعذار، وتؤمن أنهم الأفضل، ويتحقق ذلك بإيجاد الزاوية المناسبة التي يجب أن تنظر إليهم من خلالها، لتكتشف هذا الجانب الرائع. فتعلّم التسامح وتعوّد عليه، وانظرْ للناس بعين الحب..

ثم انتبه لظاهرك، وتصرفاتك، وطريقة كلامك، وتعاملك مع الناس، حتى ملابسك وطريقة مشيك وضحكتك. فكل شيء فيك يجعل الناس تخزن المشاعر تجاهك مع مرور الوقت،

فإما أن تكون الفكرة المسبقة عنك سيئة، أو أن تصرفاتك تجعل من يلتقي بك يستبشر خيراً..

☆☆ الخطوة الثانية ..

احذرْ من تصرفات تُفضي إلى خصام، مثل النظر المباشر إلى العين. شـــاهدت يوما تقريراً عن البراري، وبينما كان مقدم البرنامج يمشي وخلفه كادر التصوير والمساعدين..

شـــاهد مجموعة من الأســـود في طريقه فقال لأصـــحابه: لا تنظروا إلى العين مباشـــرة لأنها تعتبره تهديداً. كذلك الناس حولك، فعندما يقابلك شخص لا تعرفه ولا تربطك به صداقة، أو تقابل شخص تعرفه ولكن علاقتك بـه ليســـت على ما يرام، فلا تنظر إلى عينيه مباشرة، تنظر إليه وينظر إليك، وها قد بدأ الشجار..

ماذا تفعل ؟ سلّم عليه، قلْ: "السلام عليكم" فإنها سبب للألفة وتنقية القلب من البغضاء. قال النبي صلى الله عليه وسلم: أوَلَا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم..

إذا رأيته قد غضب فسلّم وقلْ كلمة طيبة، أما إذا تعدى الأمر من الغضب إلى بادرة شجار، ورأيته يأتي صوبك ويبدو أنه قد فهم النظرة على أنها تحدي واستصغار ويريد ضربكفقل له: *انا آسف.. لقد توفي والدي قبل أيام ولست على ما يرام.. أنا حتى لا أعرف ماذا أفعل وكيف وصلت إلى هنا اصلاً.. أنا اعتذر"* ... وهكذا تكون قد تجنبت المشكلة ببساطة..

فإن الضـــرب والعراك له تبعات خطيرة، كالســـجن والغرامة المالية... في أحد الأيام حدث نزاع بين قبيلتين من أجل طفلأصـــيب الكثير، وسالت دماء، ودُفعت الملايين، وبعضهم جرحوا، ومنهم رجلٌ أُطلق عليه النار وأصيب بساقه، فأصبح معاقاً مدى الحياة..

☆☆ الخطوة الثالثة ..

وصـــلنا الى أصـــعب مرحلة وأشـــدها أذى، إنها الكلمات التي تتلفظ بها وقت الغضـــب، فمنها يؤخذ دليل إدانتك وعقوبتك، والإمســـاك بك من اليد التي تؤلمك عندما يحين وقت المناقشـــة.. فتنبه لهذه الخطوة لأنها الفاصـــل بين خطوتين، فإما التراضـــي وتطيب الخاطر، أو حقن القلوب بالحقد..

تكلمْ بأدب، لا تعارضْ الناس ولا تستصـغرهم فلست بأفضـل منهم، ولا تأخذ كلّ ما يقولون على محمل الجد، ولا ترد على كل من هبّ ودب..

قيل لرجل: لماذا لا ترد على من أســـاء إليك ؟ فقال: لو كنت تمشي في الشارع ورفسك حمار، هل سترفسه ؟..

ولا تهتم لمن يكثر الكلام ويزعق كثيراً، إنـه جبـان. لا يخيفك أمثال هؤلاء، فإن الأواني الفارغة وحدها من تصـــدر ضـــجيجا عالياً، وكما يقول المثل "من قصرت يداه مد لسانه"..

أما إن أغضبك أحدهم في الهاتف وأساء الأدب، أغلقْ بوجهه بسرعة، ولن تجد حلاً أفضل..

جلس عجوزٌ ليستريح على ضفة النهر، فلمح قطّ انزلق وسقط في الماء وأخذ يتخبط محاولاً أن ينقذ نفسه من الغرق، قرر الرجل أن يمد يده وينقذه، لكن القط هاجمه وخدش يده، فسحبها خائفاً..

لم تمض سوى لحظات حتى مدّ يده ثانية لينقذه، فهاجمه القط مرة أخرى، سحب العجوز يده مرة أخرى صارخاً من شدة الألم، ثم راح يحاول للمرة الثالثة. على مقربة منه كان يجلس رجل آخر ويراقب ما يحدث فقال له: أيها العم، لم تتعظ من المرة الأولى ولا من المرة الثانية، وها أنت تحاول إنقاذه للمرة الثالثة!.. لم يأبه العجوز لكلام الرجل وظل يحاول حتى نجح في إنقاذ القط. ثم نظر للرجل وقال: يا بني، من طبع القط أن يهاجم و يخدش، ومن طبعي أن أساعد واعطف، فلماذا تريدني أن أسمح لطبعه أن يتغلب على طبعي..

ابتعدْ عن التحدي، وتجنب التشدّد، كنْ ليناً وسيلين لك المقابل. لاتكن أنت وخصمك كبشين تتناطحان بلا عقل ولا هدف. لابدّ من بعض التساهل من هنا وهناك. كما قال أحد الصحابة رضي الله عنه: تطأطأ لها تَمُر..

☆☆ الخطوة الرابعة ..

الخطوة التالية للكلام معروفة لدى الجميع، فبعد الإساءة والتهديد والانتقاص يأتي الغضب، جنون الغضب، يصبح الإنسان كالثور لا يسيطر على قول ولا فعل.. عليك أن تهدئ من نفسك وتفكر قبل أن تتقدم خطوة لا رجعة فيها..

أحد الصحابة رضي الله عنه قال: كنتُ جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يَسْتَبَّانِ، وأحدهما قد احْمَرَّ وجْهُه وانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّي لأعلم كلمة لو قالها لذهبَ عنه ما يجد، لو قال: أعُوذ بالله من الشَّيطان الرجيم، ذهبَ منه ما يَجد. فقالوا له: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تَعَوَّذْ بالله من الشيطان الرجيم..

قيل قديما: أوثق غضبك بسلسلة الحلم، فإنه كلب إن أُفلت أَتلف..

فإن الغضب جنون، والعقلُ البشري يشبه بركة المياه، إذا ثارت أصبح من الصعب رؤية ما بداخلها حتى تهدأ... ومثلما تترك طعامك دقائق ليبرد ويسهل عليك أكله، اتركْ الخلافات تهدأ قليلاً حتى يسهل حلها...

تمرّنْ على حيلة بسيطة، وهي سؤال الشخص بدل الرد عليه، لكسب بعض الوقت حتى يهدأ.. إذا جاءك شخص غاضب لا ترد عليه بنفس حالته وإنما أجعله يهدأ وينتظر قليلا. اسـأله.. رد عليه بسـؤال، مثلا جاءك يصـرخ لأن ابنك كسـر زجاج سـيارته، قل له: اين النافذة المكسـورة ؟ لماذا تصـرخ ؟ أريد أن أراها، اهدأ، لا داعي لكلّ هذا الغضب، أنا أصلحها لك وأعوضك أضعاف ما خسرت..

أخطأت في أداء واجبك وغضب شريكك في العمل، اطلب منه أن يجلس، أسـأله: أين الخطأ ؟ اهدأ، لا تكبر الموضـوع، الحل سـهل إن شـاء الله . . . اتركه ينشـغل قليلاً بالبحث ويشـرد ذهنه، هذا وقت كافي ليهدأ، ثم أخبره أن حل هذه المشكلة سـهلٌ جداً... لكن هذه الحيلة تحتاج أن تتمرن عليها لأكثر من مرة لتضـبطها وتضـبط أعصـابك، وتهدأ وتركز وقت الغضب... لأن التركيز في حالة الغضب سمة ينفرد بها القلة من الناس..

وإياك أن تسخر من شخص غاضب ، إياك إياك.. لأنه إن كان طيب القلب سـوف تجرحه في أعماق قلبه ، وإن كان سـيئاً سـيثور كالبركان ويجعلك تندم..

وأكرر في كل خطوة وأقول لك ، جدْ عيوبك وأصـلحها، أنت سبب المشكلة ، وأنت من أوصل الأمر لهذا الحد ، وعليك إصلاح ما أفسدت..

☆☆ الخطوة الخامسة ..

ثم تـأتي خطوة الحقد.. فبعد أن تســـمع الكلام ولا ترد، تبقى تتذكر موقفك وتقول لنفسـك لو أني ضـربته، لو شـتمته، لو أني رددته على الأقل. وكلما تنسى يذكّرك الشيطان ويسخر منك، وأنت تفور في داخلك وتحترق..

كان يعيش شـــيخ قبيلة وولده الذي يشـــبه أباه في الأخلاق والكرم. وفي أحد الأيام حلّ عليهم أحد الشـعراء ضـيفاً، فمكث عندهم عدة أيام لأنه طاب له الجلوس عند شـيخ القبيلة... كان الولد من عادته أن يذهب وقت العصر إلى واد قريب من بيته فيه ماء وطيور وأشجار للترويح عن نفسه ، ثم يعود بعد الغروب لتبدأ السهرة والسمر مع هذا الضيف وكبار العشيرة..

وعندما همَّ بالذهاب إلى الوادي في أحد الأيام قال للضيف: هل ترافقني؟ قال: نعم. فكان ابن الشـــيخ يركب على فرســـه الأصـــيلة والشاعر يمشي بجواره، فلما وصلا إلى الوادي نزل ومدَّ عقال الفرس للشـاعر، وكأنه يقول له: اربطها في هذه الشجرة، لكن الشـاعر استغل الفرصة وقال: تُعطي أكثر يا بن الشيخ..

وحين غربت الشـــمس وهمّا بالرجوع ركب الشـــاعر على الفرس، أما الولد فجاء ماشـياً. فلما وصـلا للدار اندهش الشـيخ وسـأل

ولده عن سبب رجوعه ماشياً والشاعر يركب فرسه، فأخبره بالقصة.. ثارت ثائرة الشيخ وغضب وارتفع صوته على ولده، وقال: خذْ فرسك واعطه من سائر الخيل. فقال الولد لأبيه: لا فات الفوت ما ينفع الصوت..

تنبه يا صديقي العزيز، فما مضى انقضى، ولن ينفعك الحقد..

"لا أحب الانتقام، لأني لا أستطيع قضاء عمري في الجري وراء كلب، لأعضه كما عضني".. حكمة هندية..

عاد رجلٌ الى زوجته بعد أن غاب لعشرين سنة، وصل بيته ودخل الباب فوجدها نائمة. وعلى مسافة منها ينام شاب وسيم طويل الشعر. اشتاط غضباً وسلّ سيفه ليهوي به على رؤوسهما، لكنه تذكر أن عجوزاً قال له ذات مرة: "نام على الندم، ولا تنام على الدم"..

سيطر على غضبه وخرج لينام بعيداً عن البيت. فلما أصبح استقبله أهل قريته وأهله، وجاءت زوجته تمشي مسرعة وبعدها بخطوات يمشي ذلك الشاب الذي كان ينام على مقربة منها ليلاً. فلما وصل إليه أخبروه انه ابنه الصغير كبر ليصبح شاباً قوياً. فحمد الله أنه لم يتسرع ويقتل ابنه وزوجته..

☆ ☆ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب..

☆☆ الخطوة السادسة ..

يمكنك أن تسمي هذه الخطوة "التخلص من الخوف"...

رجلٌ من العرب هجم عليه لصـوص وأخذوا كلّ ماشـيته من الخراف والإبل، فلما تواروا صـعد إلى تلة عالية وبدأ يصـرخ ويسـب ويشتم.. بعدها رجع إلى قومه فسألوه عما أصـابه فقال: أشبعتهم سباً وأودوا بالإبل..

لا حياة كريمة إلا بالقوة، وليس بالأمر الصـعب أن يصـبح الإنسـان قوي، ففي كلّ منطقة يوجد نادٍ لفنون القتال، ولا يكلف وقت أو مال، ولكنه يحتاج لعزيمة رجل ينوي التخلص من خوفه وذعره..

التدرب على فنون القتال أمر ضروري ستتحسر عليه يوماً بلا شـك، فإما أن تخاف من الناس أو يخافون منك، ولا يوجد حلّ ثالث.. كنْ قوياً جسوراً وهم سيقنعون أنفسهم بأنك صاحب الحق.. وهم من أخطأ معك.. يقنعون أنفسهم ويتنازلون . . . إنه التكيّف، يشبه التكيّف الذي تقوم به الحشـرات والحيوانات لتعيش في بيئتها وتتخلص من الخطر.. كذلك الإنسان يتكيّف مع القوي ويتأقلم ليسلم..

وكما يقال: الناس يكرهون القوي ويطيعونه، ويحبون الضعيف ويستحقرونه..

☆☆ الخطوة السابعة .. والاخيرة ..

أما الآن، وبعد تجاوز الخوف كنْ حذراً .. لأن المسافة أصبحت قريبة..

حاول أن لا تتشاجر أبداً، لأنك في كلتا الحالتين ستنال نصيبك من الخسارة.. وحتى لو خرجت منتصراً فلابدّ أن تحصل على نصيبك من الأذى، أو يتم خزنه لك حتى يحين موعده..

وأخيراً إذا لم تنفع كلّ هذه المحاولات لتهدئة الوضع، أو كنت مجبر ومضطر للقتال لتدافع عن نفسك ومن معك، كما في حالة الشاب والثلاث بنات، فاضرب بقوة وكن أول من يضرب، واستمر بالضرب..

لأنك إن بدأت شجاراً في الشارع فإن الموقف يتدرج صعوداً ومن أول ضربة.. عليك أن تتهيأ للقادم، فالشخص أمامك ربما يجد حجر أو قطعة معدن يَفِجُّ بها رأسك، أو يجد زجاجة أو سكين أو كرسي، ولن يتهاون للحظة ويضربك به، ولن يهتم إن قتلك أو أدخلك العناية المركزة..

فإما أن تكون مستعداً للقتال حتى الموت دفاعاً عن نفسك ، أو تهرب..

ولآخر لحظة أوصـــيك بالتجاهل، حتى بعد انتهاء المشـــكلة.. لأنك ستلتقي به كل فترة وكأنه موسم الازعاج..

وكما يقال: التجاهل يعيد كل شخص إلى حجمه الطبيعي ...

ركبت فتاة شابة عربة القطار فوجدت المكان ممتلئاً، وقفت في الممر بجانب أحد المقاعد وأمسكت به لئلا تسقط. بعد لحظات صعد بعض الركاب من المحطة التالية، ارتطمت بها فتاة بنفس عمرها فابتســمت لها ولم تنزعج، ثم مرَّ طفلٌ ليتجاوزها فأســقط بعض نقاط العصير على حذائها بعدما تعبت لتجعله لامعاً هذا الصباح، ابتسمت ومسحت على رأسه..

وأخيراً أصـــبح أحد المقاعد شـــاغراً، ففرحت وذهبت إليه مسرعة قبل أن يتم حجزه، فلما جلست داستْ عجوز على أصابع قدمها، نهضت وسمحت للعجوز لتجلس مكانها. خجلت العجوز منها وأرادت أن تعتذر، فقالت لها الفتاة: لا تهتمي، المسافة قريبة، سوف أنزل بعد قليل..

لذلك يا صديقي العزيز، تأكدْ أنه لازالت لديك الفرصة لتتراجع في كل موقف يتم مضـــايقتك فيه، وتعفو وتســـامح إن كانت المشـــكلة بسبب بعض أمور الحياة التافهة.. لأن الحياة قصيرة والمسافة قريبة، وسوف يعوضك الله خيراً..

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره من الحور العين ما شاء..

☆ ☆ ☆

أما إن تكرر الإزعاج واضطررت مكرهاً للقتال وتكرار ما حدث، فلا تتهاون في الزيادة، حتى تفسد مُتعته بازعاجك، وتفسد وهمه بأنك تخاف. فبعض المواقف تُجبرك على القتال مكرهاً...

دفعتني البنادق نحو البنادق

لا خيار بين نار ونار

فاندفعت مستهزئاً بالهزيمة والانتصار ...

قصاصة عُثِر عليها في جيب جثة جندي عراقي مجهولة الهوية.. في نيسان عام ١٩٨٣م، خلال معركة الفكة في مدينة العمارة....

إذا لم تَضرب في البداية ،
فستُضرب إلى النهاية..

الكِذبة التي أَحَبها الجميع...

يُقال إن الحب، وخاصـــة الحب الأول، هو الأجمل.. أجمل حدث في حياة الإنســـان... هل تُقِر هذه الكلمة ؟ أنا عن نفســـي أظنها كلام مبالغ فيه لدرجة فوق الخيال، لأن كلّ شـيء في هذه الحياة عندما يحدث لأول مرة يكون الأجمل، وعندما يتكرر مرة ثانية يتضـــاءل بريقه وينخفض رونقه، ثم يتلاشـــى شـــيئاً فشـــيئاً حتى يختفي نهائيا ويصبح بلا معنى..

هل تتذكر أول مرة قدت سـيارة، وأول مرة اشـتريت هاتف، والمرة الأولى التي تعرضت للغرق في المسبح، وعند ولادة أول طفل لك، وأول بيت وســـيارة ووظيفة، وأول مرة تناولت الطعام المقرمش في مطعم، وأول مرة انتصـرت في شـجار عندما كان عمرك خمسـة عشر عام. كلّ شيء عندما يحدث لأول مرة يكون مميزاً..

حتى الشخص السخيف عندما تراه أول مرة سوف تحبه.. ألا تتذكر أنك رأيت متسـولاً يلقي شـعراً في الشـارع فأعجبك، ثم مررت في اليوم التالي فوجدته يلقي نفس الشـــعر فنظرت إليه باحتقار.. كلّ شـــيء يحدث للمرة الأولى يكون مختلفاً، ثم يتكرر مرة أخرى فتكرهه بلا سـبب. إنها أشـياء لها طعم لا يتكرر وفرحتها خاصـة، ليس لذاتها، بل لأنها جديدة وتحدث للمرة الأولى..

الصبي يسأل الأكبر منه سناً: كيف تعلم أنك وقعت في الحب ؟ ويتكرر نفس الجواب في كلّ مرة. إذا أحسست بألم في بطنك، ولا تستطيع النوم، ولا تشتهي الطعام، ستعلم أنك تحب..

وهذه نفس علامات انتظار المفاجأة. إذا كنت ستشتري أول هاتف وأنت صغير، أو غداً تسافر خارج بلدك في رحلة لبلد تحبه. تتسلقُ الجبال ، تبحر ، تتزلج ، تغامر ، تتذوق طعام ، وخاصة أن كنت تفكر في معالمه السياحية مثل برج إيفل ، الأهرامات ، سور الصين ، عندها يزورك الاضطراب في عقلك ومعدتك ، لن تأكل أو تنام حينها ، وتقضي ليلتك تراقب سقف غرفتك..

لذلك ياصديقي ليس الحب فقط، وإنما كلّ شيء يحدث لأول مرة هو مميز بلا شك. وعندما ترى ما يحدث وكل هذا التضخيم لكلمة الحب، فكل هذا لسببين فقط: الأول؛ لأننا نسمع به منذ طفولتنا ونراه كلّ يوم في التلفزيون، ونقرأ عنه الكثير في القصص والروايات والكتب والجرائد ، فطُبع في ذاكرتنا وصرنا نبحث عنه بلا وعي .. لأن من طباع الإنسان إذا سمع عن شيء وبكثرة ، مهما كان نوعه، ويرى الناس يسرفون بوصفه، فإنه لا يهدأ له بال حتى يراه ويكتشفه، ثم يختبره..

أما السبب الثاني ؛ ليربح منتجو الأفلام..

هذا الكلام عن الحب يقوله الجميع، حتى مؤلفي روايات العشق أنفسهم ، وهذه بعض الاقتباسات لكثير من الكتّاب المشاهير ، وهم يتحدثون عن الحب..

☆☆ لو أننا أحببنا قبل ظهور التلفاز، حتى نعرف هل الحب حقيقة أم تقمص للشخصيات التي تظهر في الأفلام والمسلسلات ؟..

☆☆ الرجال يقولون أحبك كما يقول السجناء نحن أبرياء، فاشربي قهوتك يا جميلة ولا تأخذي أحداً على محمل الجد..

☆☆ لهفة البدايات ليست حُب! . . . لا يحب الإنسان بأسبوع أو شهر، لا يمكنك أن تحبّ البحر وأنت تقف على الشاطئ، يجب أن تغوص في أعماقه، تضربك أمواجه، تضرب قدمك صخرة، وترى قاعه المظلم.. فتلمس عيوبه، وترى ظلماته، وتعرف كيف يغضب، وبعدها فقط، إما أن تحبه كله أو تكرهه كله . . . يبدأ الحب عندما ينتهي الحماس..

☆☆ حين تشتاق لأحد أكتب له رسالة طويلة، لكن.. لا تقم بإرسالها واذهب للنوم، وحين تستيقظ قمْ بقراءتها مرة أخرى، ستكتشف أنك غبي جداً..

☆☆ أخيراً التقيت بفتى أحلامي، لم أكن أتصـور أن أحلامي تافهة لهذه الدرجة..

☆☆ إن كل الذين أحبوا بصـدق في الحياة لم يحبهم أحد، وعاشوا حياتهم وحيدين..

☆☆ الحب الأول لا يموت، بل يأتي الحب الحقيقي ليدفنه حياً..

☆☆ لا أريد من الحب إلا البدايات.. (فبعد ذلك تبدأ مرحلة الحقيقة وربما الزواج، ولا أظن الكثير يريدون هذه النهاية من الحب).

☆☆ أن تهجري رجلا لأنه يكذب هو بمثابة مغادرة وطنك لأنها تمطر.. أين تذهبين؟ إنها تمطر في جميع الأوطان..

☆☆ اعلمي عزيزتي، أن الرجل سـيظل يتودد لك بكل الطرق، و بأغرب الأسـاليب وبكافة الوسـائل المتاحة حتى يضـمن قلبك.. بعدها تبدأ مرحلة أخرى هي مرحلة الإهمال والانشـغال بأمور أخرى (المال مثلاً) لا تسـتغربي من رجل كان يتذلل لينال رضـاك اليوم، أن يهملك غداً بعد أن سـلمت له قلبك. هذا صـحيح، الرجال يحبون المتكبرات، ولا يسيئ الرجل إلا لمن يضمن بقاءها..

☆☆ إذا كنت لا ترى أي عيوب في شخص ما، فقد وقعت في الحب أيها المغفل..

☆☆ أول جملة غزل موثقة في التاريخ البشـــري قالها الملك رمسـيس الثاني لزوجته نفرتيتي "هي التي من أجلها تشـرق الشـمس" ولا زالت محفورة في معبد أبو سـمبل، ورغم هذا اكتشـفوا مؤخراً أن الملك كان متزوجاً عليها أربع وخمسون امرأة..

☆☆ إذا طرق الحب بابك لا تفتح لهُ بســـرعة، لأن هناك أشخاص مثل الأطفال يطرقون بابك ثم يهربون..

☆☆ لا شـــيء مُثير للاشـــمئزاز، أكثر من رجل واقع في الغرام..

☆☆ الجمال أهم شـيء في هذا الأمر، وهو صـاحب القرار.. "إذا قتلت صـــرصـــوراً فأنت بطل، وإذا قتلت فراشـــة فأنت شـــرير" الأخلاق لها معايير جمالية..

☆☆ كـلّ الـذين أحبوني وأحببتهم، كنـت أنـا دائمًـا الطرف الأكثر حباً لهم، أقصـــد أنه ورغم قدرتي الضـــعيفة على التعبير لكنني أقدم أشـــياء صـــادقة، أقدم أشـــياء ربما لا يعرفون قيمتها إلا بعد نهاية علاقتنـا.. هم رائعون في البدايـة كـالجميع، كلّهم رائعون في البدايـات،

الونس، الأمان، الردود الطيبة والشـــغف، أما عني فكنت دائماً أبحث عما هو بعد هذه الخطوة..

فقط البدايات رائعة في كل شيء، لكن الوقت يُبرد مشاعرهم، الوقت يكشــف أن اقترابهم مني كان بدافع الفضــول، أو مجرد نوبات احتياج، فتعثروا بي لأعوضــهم عن الفراغات التي يشــعرون بها، لم يحدث يوماً ووجدت من تغير لأجلي، من حاول وضـــحَّى ليبقى بجانبي..

هذه بعض الاقتباســـات، وهذا هو الحب بعيون أهله ، وأهل ومكة أدرى بشعابها.. وكما وصفه رجل من الصالحين: "قلوب غفلت عن ذكر الله، فابتلاها الله بعبودية غيره"..

أما الحب الحقيقي فهو ما يشبه حب الأب لابنته فقط لا غير.. يفديها بروحه ولا ينتظر أن تعينه بأي حال، ولا أن يســتند عليها عند الكبر، ولا هي تملك المال لتساعده في مصاريف البيت.. وهي تتعلق به وتعلم أنه لن يدوم لها، وأنها ستفارقه قريباً. لا مصالح مشتركة، ومع ذلك فلا توجد علاقة أشــد إخلاصــاً ووداً من علاقة الأب بابنته، لأن الحب الحقيقي هو أن تحب شخصاً بدون سبب...

الحب قبل الزواج، هو شاب شاهد قصــة غرامية حزينة في الشـــاشـــة فدمعت عيناه .. خرج يبحث عن فتاة ليخوض معها هذه التجربة، فوجدها تبحث عنه..

قبل الزواج يعشق الشاب كل فتاة قريبة منه وتراها عيناه، ولا يهم العدد...

فتح عينيه صـــباحاً وظل ممدا يقلب صـــفحات خياله، وما سيخطر على باله قبل أن ينهض من سريره، سحب ساعة يده ووضعها تحت أذنيه ليسمع تك تاك تك تاك تك تاك..... تذكر حبه الأول، وهذا ما اتفقا عليه قبل ســـنين، ولكن كتب لهما الفراق والضـــياع بســـبب صديقتها الغيورة.. بقي ممداً حزيناً يسمع زقزقة العصافير على شجرة نارنج قريبة منه، وقد اتفقا أن يتذكر أحدهما الآخر كلما سـمع صـوت العصـافير، أو يقوم كل منهما بوضـع السـاعة تحت رأسـه ليغفو على دقات عقرب الثواني التي تذكره بدقات قلب شـــريكه. كانت شـــيفرة خاصـــة بينهما . . . يخرج إلى الجامعة فيرى أثناء ســـيره في منطقته الكثير من الطالبات، فتعجبه إحداهن . يســـرح بجمالها ولون عينها وشعرها، ويحلم بمرافقتها، ويتخيل سيناريو لقصة كاملة بتفاصيلها قبل أن تبدأ.. ثم يصـعد في سـيارة نقل الطلاب فتجلس أمامه طالبة غيرها تدرس في نفس الجامعة، تبتســم له، وتبادله الحديث بقصـــد أو بدونه، هذه الطالبة يعرفها أكثر، وابتسامتها أجمل.. ثم يذهب للقاعة الدراسية فيرى الفتاة التي صـــارحها بما يجول في خاطره تجاهها أكثر من مرة فرفضـت، ينسـى ما مرّ به صـباحاً ويحزن لهذه القصـة الجميلة . . . ينتهي يوم دراسي..

خارج الكلية يلتفت فيرى فتاة، ومن شدة جمالها لا يعلم ان كان يشاهدها حقاً أم أنها دعاية في التلفاز، تمشي مبتسمة، وكأنها السعادة بعينها تسير على قدمين، يتمنى لو ربح منها نظرة واحدة، وللأسف لا تدري الفتاة بشعوره تجاهها فتمضي لحال سبيلها.. يعود للبيت جائعاً متعباً رأسه مليء بالأفكار، فيجد أقرباءه قد وصلوا في زيارة مفاجئة، ترافقهم ابنتهم الجميلة التي طالما سمع عنها، ومن هذه اللحظة يبدأ يومه وصباحه وحياته وحلمه، مادامت الحسناء في بيته حتى تغادر..

هذه حقيقة مجربة وليست من نسج الخيال، لأنه يعشق حالة الحب نفسها وليس الفتاة .. وهذا هو القلب ، سُمي قلباً لكثرة تقلبه..

وعندما يشترك اثنان من هذا النوع من العشاق، ويرتبطون بزواج مبني على كذبة الحب، فإن هذا الزواج والحياة التي بعده أقرب ما تكون للعقاب، عقاب على تلاعبهم بقلوب وعقول الآخرين، والاستخفاف بمشاعرهم، وإفساد ما تعب الاهل سنين لإصلاحه من التربية والأخلاق . عندما يجتمعان سيتكون هذا الثنائي من أصحاب القلوب المتذبذبة، كلما حدثت مشكلة بحثوا عن التسلية في مكان آخر.. فكما هو معروف، بعد الزواج تتناقص اللهفة والشغف ولا يبقى منها إلا الأثر القليل، ولذلك يعود كلّ لطبعه ، فإذا وقعت مشكلة بينهما يقوم الشريك بالبحث عن حلّ لهذه المشكلة خارج إطار العلاقة الزوجية..

لذلك .. ياصديقي .. لا تنظر إلى باب مفتوح...

هذا هو الحب قبل الزواج، وهمٌ وحلم خدّاع، وأكثر منه كذباً ما يسمى جمال الروح، فكل هذا الحب أصله معايير الشكل والخِلقة.. ترى فتاة جميلة تقرأ كتاب فتُعجَب بها وتقول: جذبني الكتاب لها، أنا قارئ، وأحب من يوافق أفكاري وأحلامي ... لكن

تخيل لو أنها كانت دميمة، وغير مهندمة ولا براقة، وبلا مكياج، فهل ستعجب بها ؟ كلا.. ولن تلاحظ حتى الكتاب الذي تحمله..

لا تخدعك القصص في الأفلام والتلفاز.. لا فيلم بدون موسيقا، لا فيلم عن قصة حب والبطل فيها فتاة قبيحة.. فإننا لا نشاهد قصة الحب والدراما، وإنما نشاهد الفتيات ونستمع للموسيقا... وتخيل لو أن هذه الأفلام كانت بدون موسيقا ، أو كانت الفتاة بشعة ! فهل سيشاهدها أحد ؟..

وأفضل من الجمال هو سحر المال، فالغني لن يرفضه أحد...

☆☆ لا تهتم بمن لا يهتم بك...

يُحكى أن شـــاباً في إحدى القرى نبغ في العزف على مزماره، فكان كلّ ليلة قبل مغيب الشمس، يخرج آلته ويؤنس وحدته وهو يرعى الغنم.. يشدو بأجمل الألحان التي تنقلها الرياح لأهل قريته، فيستمعون لمطلعها ثم ينشغلون بأعمالهم رغم عذوبة ألحانه.. أما إن مرّ بينهم فلا يعيرونه اهتماماً ولا يشعرونه بحلاوة ما يصنع..

ظل الشاب على حاله يعزف كل يوم دون أن يسمع كلمة تحفيز واحدة.. حتى مرّ عليه رجل من الرحالة في يوم من الأيام فاســـتوقفته ألحانه، وطلب منه أن يرافقه مقابل أن يمنحه كل شـــهر ألف درهم، فوافق الشاب على عرض الرحالة وسافر معه إلى قرية ليست ببعيدة..

وهناك أعلنوا عن حفلة كبيرة عزف بها الشـــاب، ونال رضـــا وتصفيق الجمهور، وهكذا حفلة تلو الأخرى ذاع صيت الفتى واشتهر في كلّ القرى المجاورة، ولما اغتنى الزمار وعُرف وانتشـــر ذكره في الآفاق، تمنى أن يعود إلى قريته، وطلب من الرحالة أن يذهب معه ويقومـا معـاً بعمـل حفلـة كتلـك الحفلات التي أقـاموهـا في القرى المجاورة... نصـــحه الرحالة بعدم الذهاب لأن قريته لا فن فيها ولا مال.. لكن شـــوق الفتى لأهله وأبناء قريته جعله يلح على الرحالة في الذهاب..

وبالفعل ذهب الاثنان معاً في موكب مهيب، وحينما وصـــل الشـــاب أخذ يتأمل ربوته التي كان يجلس عليها ويعزف أول ألحانه. دخل الشـــاب مشـــارف قريته فاجتمع حوله الناس لرؤية صـــاحب الموكب... حين خرج عليهم لم يعرفوه من حســـن مظهره وثرائـه.. حينها ابتســم الشـــاب وأخرج نايه وأخذ يشـــدو به أجمل الألحان التي طالما سمعها أهل هذه القرية ..

حين انتهى الشـاب من لحنه انتظر سـماع صـوت المصـفقين، ولكنه لم يجد حوله سوى اثنان.. واحد منهما هو الرحالة، والثاني شيخ عجوز..

فقال له الرحالة: إن زامر الحي لا يُطرب.. وأما الشيخ العجوز فقال له: لقد أخطأت إذ أتيت، وتدنيت، وتمنيت. فســـأله الشـــاب عن مقصـــده فقال الشـــيخ الحكيم: أما الأولى: فأخطأت إذ أتيت من أرض رحبت بك لأرض طردتك.. وأما الثانية: فأخطأت إذ تدنيت، أي تركت الرحالة الذي كان يعطيك ألف درهم وجئت لهؤلاء الذين لن يعطوك درهماً ولن يقدروك أو يقدروا موهبتك.. وأما الثالثة: فأخطأت إذ تمنيت أن تجد الخير في أهلك بعد أن وجدته في غيرهم...

☆ ☆ ☆

قبل عقدين من الزمن، لم تكن وسائل الاتصال الالكتروني متوفرة كما هو الحال هذه الأيام كان التعارف وتبادل الإعجاب يتم عن طريق الرسائل الورقية. تكتب ورقة مضحكة، وتبقى تمشط الشارع جيئة وذهاباً، تنتظر أن يُفتح لك شباك، أو تُرسل لك أختها الصغيرة، أو تخرج بنفسها للمدرسة، لتنحني وتأخذ رسالتك التي رميتها جانباً من الخوف، وغمزت لها أو أشرت بيدك لتدلها على مكانها. أما إن أمسك بك شباب الجيران حسداً وغيرة لا أكثر، فستبقى عشرة أيام داخل بيتك لا تخرج حتى تختفي الآثار عن وجهك..

كان أحد الأولاد في منطقتنا يشتري ورقة ملونة بظل الورود والقلوب، وكذلك ظرف يحتوي ظاهره رسومات أو اقتباس جميل، ويكتب رسالة لفتاة في الشارع الآخر. يكتب ويمزق ويعيد كتابة الرسالة أكثر من عشر مرات، حتى تظهر بصورة مثالية خالية من الشطب أو الحذف، خالية من آثار الممحاة، وحتى إن كانت تحتوي على أحرف لم تُرسم بطريقة متقنة، فإنه يمزقها ويكتب واحدة جديدة..

بينما كانت تأتي رسالتها بورقة سحبتها من وسط دفتر العلوم. مجعدة، مبتورة من أحد أطرافها، ومليئة بكلمات كتبتها بالخطأ وقامت بشطبها والشخبطة فوقها، ولم تكلف نفسها حتى عناء استخدام الممحاة..

☆ ☆ ☆

في سـنة ١٨٧٢ تقدمت فتاة تائهة متسـخة بعض الشـيء، من رجل شـــرطة في مدينة نيويورك وخاطبته بلغة أجنبية، فحاول بعض المارة تقديم المسـاعدة. لقد كانت الفتاة مشـوشـة الذاكرة. وقد سـاهمت إحدى الجمعيات الخيرية الفرنسية في مساعدتها على استعادة عافيتها..

ثم تبين أن هذه الفتاة هي "أديل هوغو" ابنة أبرز أدباء فرنسـا، الأديب والشـاعر الكبير "فيكتور هوغو" مؤلف رواية البؤسـاء. وحال ابنته هذه زادت من هموم والدها، فبينما كانت تشاطره منفاه في جزيرة غيرنيزي البريطانية في بحر المانش لمدة خمســة عشــر عاماً لتمرده على الأوضـاع القائمة في فرنسـا، هامت ابنته بحب شـاب تافه ملازم في الجيش البريطاني، أحبته حباً جنونياً، وتبعته عبر المحيط الأطلسـي حيث نُقِلت كتيبته العسـكرية. فاسـتغلها أبشـع اسـتغلال، وعاش عالة عليها ينفق من مالها طوال سنوات، ثم هجرها بلا أهل ولا أصدقاء ولا مال في نيويورك..

أُعِيدت أديل إلى فرنسـا منكسـرة وفي حالة مزرية، وقد أنهكها الذل واليأس وقوة الصدمة التي تلقتها من أحب الناس إلى قلبها، فنذرت الصـــمت المطبق.. حـاول والـدها فيكتور هوغو ثنيها عن عزمها ونذرها، لكنه فشـــل في ذلك، وطيلة ثلاثة وأربعين ســـنة وإلى لحظة وفاتها سـنة ١٩١٥ لم تتلفظ هذه الفتاة البائسـة بكلمة واحدة.. ضـاربة بذلك الرقم القياسـي في أطول صـمت فُرِضَ فرضـاً ذاتياً عرفه التاريخ البشري..

فلا تهتم بمن لا يهتم بـك.. تحققْ من ثمن المقـابـل واعرفْ قدره، واعرفْ قدرك وثمنك عنده.. لا تهتم بمن لا يهتم بك . . . فلا عثرة أشد إهانة لكرامة الإنسان ، تشبه عثرة الحب من طرف واحد...

مهما كانت العلاقة التي تربطكما، صـــداقة أو حب أو زواج، إذا وجدت نفسك يوماً بين أربعة جدران..

أولها: جدار الألم ، فهناك شخص يجعلك تقفز فرحاً، وشخص آخر يجعلك حزيناً تفقد نومك وشهيتك وابتسامتك، ومثل هذا النوع من الحب يحتاج إلى "حيلة الألم" لكي ينجح، وكلما زاد الألم كلما كان هذا الحب أقوى.. تخيلْ لو تزوج قيس بليلى وعنتر بعبلة، هل عرفهم أحد وسرد قصصهم وأشعارهم ؟ بالطبع لا.. فالعذاب والحرمان هما بطل الحكاية، وليس الحب..

لذلك تجدنا لا نتذكر من قصص الحب إلا المؤلمة، ولا يهم إن كان هذا الألم والأذى بقصـــد أو بدونه.. مادامت مؤلمة ســـيتذكرها الجميع .. ثم يؤكد لك أحد الشعراء هذا الأمر ويقول:

اخذليه كي لا ينساكِ، وأوجعيه كي يحبكِ أكثر...

والثاني: جدار الذل، فأنت تشعر بالحب ولكنك لوحدك، وعلى الطريق الخطأ.. تتقبل عذابه، وتصحح أخطاءه، وتلتمس له ألف عذر لسخافته ومساوئه، وتتنازل، وهو يستمتع بتعلقك به، ويظن أنه لا ثاني له في هذه الحياة..

والجدار الثالث: هو الحاجة، تحتاجه لأنك تمر بحالة فقدان أو تائه، أو متألم من جرح سابق، فإذا قال لك: صباح الخير، كأنه أهداك باقة ورد.. وإذا التفتَ فجأة وصادف وجودك أمامه، تشعر أنه يبحث عنك وأنه مولع ومتيم بك.. وإذا رأيته حزيناً بسبب شخص غيرك، ستظن أنه يحبك وهذا ما جعله يسهر ليلا ويحزن نهاراً.....

أحببْ نفسك ولا تطلب الحب من أحد، وعندما يأتي الحب ليكن شيئاً جميلاً تضيفه لسعادتك، وليس حاجة تتوسل للحصول عليها..... تمرّ عليك أيام وليال طوال وأنت تعيش بين الخيال والأحلام، تتكهن وتخمن وتقنع نفسك أنه يحتاجك، ووجودك لجانبه ضروري، ولا يمكنه الاستغناء عنك.. وكل هذا الحب الذي تتخيله في عينيه هو انعكاس صورة مشاعرك وحبك ولهفتك فقط، لا أكثر..

أنت تقول الكلمة وأنت من يُعجب بها، وأنت من تتحرك مشاعرك لهذه الكلمة، وتحن وتشتاق وتدمع عيناك لها..

تعشقه لوحدك وتتصور أنه يبادلك الشعور، وعندما تخاصمه تغضب وتحزن لوحدك، وتتوهم أنه يفتقدك.. كأنك ممثل يؤدي دورين في نفس الفيلم، تمثل دورين لوحدك، وصاحبك يراقب حشرة تسير على الأرض لينشغل عنك، فقد أصبحت عبئاً ثقيلا عليه..

يُقال: لا تذهبْ للتسوق وأنت جائع أو غاضب، لأنك ستشتري الأشياء الخطأ، ونفس الشيء ينطبق في الحياة، لا تدخل في علاقة عندما تشعر بالوحدة، ربما ستأخذ الشيء الخطأ.. فكرْ في هذا الأمر.. عندما تكون يائساً، ستلتقط أي شيء، وليس ما ينفعك..

الجدار الرابع: هو النقصان.. عندما ترى أن مستوى العلاقة والود الذي بينكما في نقصان دائم، ويقل يوماً بعد يوم ولا يزيد، فهذا يتلاعب بك..

فإذا وجدت نفسك يوماً بين أربعة جدران، بين الألم، والذل، أو أنك أوقعت نفسك في هذه العلاقة وأنت في وضع الحاجة والحرمان، أو أن علاقتكما في تضاءل دائم ونقصان.. فانتبه، انتبه لنفسك قبل أن تتألم بقسوة حتى تشفق على حالك التي وصلت إليها ، وتتمنى أن تستعيد روحك ، وتسترجع ذلك الشخص الذي خسرته ، الذي هو أنت...

فلا أحد يستحق أن يسلبك ابتسامتك..

فاحذر هذا النوع من الحب، سيؤذي قلبك بشدة... والمشكلة أنك لن تستطيع إخراجه من رأسك بسهولة، وذلك لأحد هذه الأسباب الثلاثة..

السبب الأول: أنك إنسان صادق نقي لا تتلاعب بمشاعر الآخرين، ولا تملك الكثير من العلاقات والصداقات المحرمة، لهذا تجد نفسك معلقا به وتعطيه مكانة أكثر مما يستحق، فليس لديك منفذ آخر للمرح والعبث تلجأ إليه..

لا أحد داخلك لتتسلى وتفكر فيه، ولا يوجد غيره حولك لينصرف نظرك إليه... فأنت تعظِّمه رغم عيوبه ومساوئه لأنه وحيد في محيطك.. وكما يقول المثل "في بلد العميان صاحب العين الواحدة ملك"...

السبب الثاني: أننا نقرأ ونسمع كثيراً أن سبب وجود شخص يشغل تفكيرك ولا تستطيع إخراجه من رأسك، لأنه يفكر بك في نفس الوقت. تفرح بهذا وتظن أنه يتألم حالياً ويعاني مثلك.... كلا ياصديقي، أنت من أصابك الأرق لوحدك ولا تستطيع النوم، بينما هو في جلسة سمر مع الأربعة والأربعين حرامي...

السبب الثالث: أنك تشعر بالفشل والخسارة والهزيمة أمامه، وتبحث عن فرصة لتغلبه وتحصل على الانتقام الذي يرضي كبرياءك، ويطفئ النار التي تتأجج داخلك...

لو كان حباً حقيقياً لأصبح قطعة من روحك، لن يغيب عنك، لن يتأخر بالرد عليك، لن يقترب من شيء يزيد حزنك، لن يلتفت لأي جهة لا يراك فيها، لن يفعل كل هذا ولو طردته طرداً. أما من تسأله فيجيبك بعد يوم، وينسى ما تخبره، ويُتلف ما تهديه، فتأكد أن هذا الشخص قد وضعك في خانة الاحتياط والتسلية لا أكثر..

انتبه للعلاقة التي أنت بها، وانتبه لصاحبك. إذا لم يحتاجك، ويزاحمك في يومك وساعاتك، ويزاحم كل لحظة من حياتك، فاتركه فوراً، وانسحب من البداية. فهذه العلاقة تشبه الغابة الكثيفة، كلما تعمقت أكثر كلما صعب الخروج...

☆ ☆ ☆

إن أقوى دافع وحـافز للوقوع في الحـب هي الأغـاني، فهي البريد والمرسال للحب.. كلما استمعت للأغاني أكثر سيزداد الحب في قلبك..... وأيُّ حب.. سـتعظمه مهما كان سـخيفاً، حتى لو كان الطرف الآخر لا يستحق منك ذرة مشاعر، ستصبح مجنونه...

كلما اعتزلت الأغاني، كلما سـيطرت على مشـاعرك وعقلك . . . هل تعلم أن ٩٩% من الحب هو تقمُّص لما نراه في الشـاشـات من الأغاني والأفلام، وبحث عن اللهو واللعب لا أكثر ..

فإذا وقعت في الحب يوماً، جربْ أن تهجر الاسـتماع للأغاني والموسـيقا، وسـتكتشـف أنك كنت تافهاً... لأنه حقا الكذبة التي أحبها الجميع ..

☆ ☆ ☆

ربما قرأت هذه الكلمات الزهيدة ومثلها في الكتب والروايات، وظننت أنك اصـبحت ذكياً فطناً، وتسـيطر على وعيك وعاطفتك، ولن تقع في الحب..

لا تستعجلْ. ستقع فيه لأنه كالمطب الجديد في الشارع، يزوره الجميع، وخاصة أن للمشاعر والعاطفة قوة جبارة في التحكم بالإنسان..

فاحذرْ حينها من التسرع والغوص في الحب عميقاً مع الطرف الآخر، فتصل للقاع ثم تفتح عينك فتجد نفسك وحيداً بدون صاحبك.. فالشاب يتباهى بالحب ويبارز به الأصدقاء، والفتاة منتهى غايتها الاهتمام، وأن تكون محطّ الأنظار، وهي المرغوب بها من بين جميع صديقاتها..

كل منهم سيقاتل ، ويقفز ، ويمثل ، ويفعل المستحيل ، حتى يقع أحدكما بحب الآخر (أو هكذا ستُقنع نفسك)، ثم تتفاجأ بمن تُحب يقول لك: أنت أخي ، وصديقي العزيز ..

لماذا ؟..

لأنه حصل على ما يريد، أما التسلية، أو بلاء الاهتمام.. حتى لو بالغ في المشاعر والتصرفات والأفعال، فلا يعني هذا أنه متعلق بك. لأن الانسان يغار على معجبيه ولا يريد ابتعادهم عنه، حتى لو كان لا يحبهم ولا يهتم لأمرهم، المهم وجودهم حوله.. أمثال هؤلاء يشبهون الأطفال عندما يطرقون بابك ويهربون ..

فلا تتسرع ولا تتعمق في الحب.. من كان لك لن يذهب لغيرك.. ومن لم يكن من نصيبك ، لو أهديته كنوز الأرض ، وأصبحت له فرحة الأعياد ، وأحلام الطفولة والصبا ، لن تحصل عليه ..

أما الحب عند تقدم العمر، حكاية مؤلمة بحد ذاته.. لأن الحب الأول ذكرى جميلة ، ورواية تقصها وتحكيها.. أما الحب الأخير عند الكبر ، حسرة تتجرعها لما بقي من أيامك ، سيحطم قلبك ، سِرٌ حزين ، تدفنه في قلبك خجلاً ، ويرافقك لآخر العمر ألماً ..

انتبه ، نهايات الأشياء غالباً ما تكون حادة .. وتجرحك بسهولة

لا تدخل علاقة قبل أن تدرسها جيداً ، وإلا ستصبح كالعصفور الذي أحب سمكة ، أين يعيشان في الماء أم الهواء ؟..

☆ ☆ ☆

وأما من أراد اللعب واللهو المحرم باسم الحب.. فماذا يستفيد من كلامنا إذا لم ينزجر بهذه الأحاديث...

قال النبي صلى الله عليه وسلم: رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا على مثل التنور، فإذا فيه لغط وأصوات، فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا .. وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني..

هذا ما يحدث لهم في القبر.. أما في الآخرة . . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينا أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي، فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا: اصعد.. فقلت: إني لا أطيقه.. فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل، فإذا أنا بأصوات شديدة فقلت: ما هذه الأصوات ؟ قالوا: هذا عواء أهل النار..

ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم أشد شيء انتفاخاً، وأنتنه ريحاً، كأن ريحهم المراحيض.. قلت: من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء الزانون والزواني..

أما الذي يستغل ضعف المرأة التي يغيب عنها زوجها بعمل أو سفر أو مرض، ويتمكن بمكره وشره من إيقاعها في زناه، فهذا عذابه غليظ يوم القيامة.. فكما نهش عرض هذا الغائب، فإن الله يعذبه بجعل الحيات والأفاعي تنهش فيه..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل الذي يجلس على فراش المغيبة (التي غاب عنها زوجها) مثل الذي ينهشه أَسْوَد من أَسَاوِد يوم القيامة..

☆ ☆ ☆

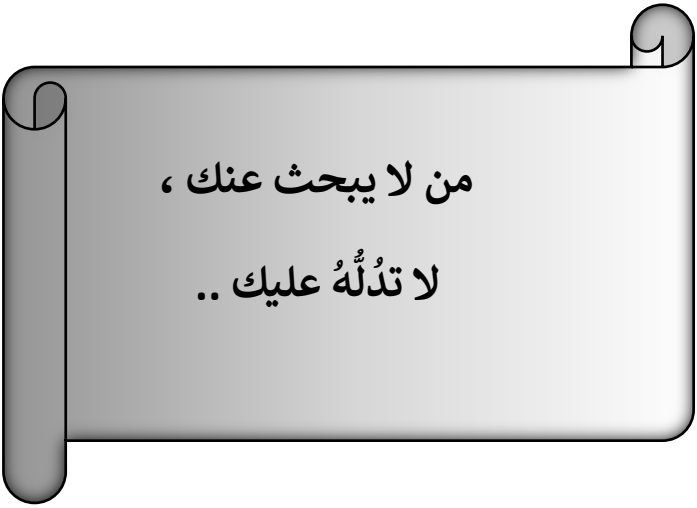
من لا يبحث عنك ،
لا تذُلُّهُ عليك ..

عجلة الهامستر ...

سمع رجل مسكين ضاقت به متطلبات الحياة عن حجر الفلاسفة، وأن هذا الحجر يحول المعادن الرخيصة إلى ذهب، بحث عنه كثيراً لكن بلا جدوى. حتى قابل عجوزاً حكيماً أخذ منه ماله وحماره على أن يدله عليه..

بعد أن وافق المسكين يائساً أخذه العجوز إلى شاطئ معزول بين جبلين، شاطئ صغير قربه كهف وبعض الشجيرات الغريبة، وأمره أن يبحث بين الحصى الذي يغطي الشاطئ عن حصاة تختلف عن أخواتها، وأنها ستكون حصاة باردة على عكس بقية الحصى التي أدفأتها الشمس..

بدأ الرجل عمله بتفقد الحصى واحدة تلو الأخرى، ولكي لا يعود لنفس الحصاة مرة أخرى كان يمسكها بيده فإن كانت دافئة رماها في البحر. استمر لساعة، ثم ساعة أخرى، وأخرى حتى غربت الشمس..

استيقظ صباحاً وكرر ما كان يفعله البارحة، يأخذ الحصاة ويتفحص حرارتها ويرميها في البحر إن لم تكن تلك الباردة التي يبحث عنها. يوم يجر يوماً آخر، وأسبوع يجر وراءه أسبوعاً، والرجل يبحث بلا ملل أو كلل..

فلم يُبقِ لنفسه طريقاً للعودة، أعطى ماله وحماره لذلك الرجل، فإما أن يحصل على الحجر أو يموت وهو يحاول..

وكعادته يأخذ حصـــاة دافئة ويرميها، ويأخذ أخرى ويرميها، يفعل ذلك بتفاؤل .. إلى أن أمسك بواحدة باردة تختلف عن الأخريات.. ولكنه سرعان ما رماها في البحر حالها حال البقية ، فهذا ما كان يفعله منذ أسابيع، تعودت يداه وعقله على الالتقاط والرمي في البحر..

بقي صـــامتاً فاغراً فاه، وأصـــابع يده متباعدة فيما بينها كأنه يمسك بطيخة صغيرة.. لا يدري كيف حدث ذلك، لا يدري كيف رمى مستقبله وحلمه في البحر، بعد أن كان يقبض عليه بيده، لا يدري كيف يســـترجعها، فكمية الأحجار التي رماها في البحر لشـــهر أصـــبحت جميعها باردة بسبب الماء. وإذا استمر بالبحث فلن يجد أخرى،

كان يقلب بصـــره بين يده، الشـــجيرات، مدخل الكهف، الحجر الكبير الذي يتكئ عليه عند مدخل الكهف حين يكون تعباً.. ينظر للماء الذي يلاعب قدمه العارية، ينظر للأرض، للرمال، للأماكن التي خلت من الحصى بسببه، ينظر للمكان حوله، وكأنه يراه للمرة الأولى..

ما تكرره باستمرار يكون جزء منك وستفعله بلا إدراك.. كما أنك تقرأ سورة الفاتحة في الصلاة وتنهيها بلا وعي منك...

إنـه محصـــلة تكرار الحركة والاســـتمرار على نفس الفعل لســـاعات، ويومياً لفترة طويلة.. هذا التكرار والتكرار جعل من هذه الحركة تخرج بسرعة وبلا إدراك... إنها العادات..

☆ ☆ ☆

سمع رجل مسافر نحيب امرأة يصدر من خيمة وهو يسير في طريقه، فترجل من فرســـه ودخل الخيمة فوجد امرأة عجوز، ووجد أمامها شاة مقتولة وتمسك بيدها جرو صغير. وهي تبكي وتنوح، فقال لها: ما بك يا امرأة؟ قالت وهي تشير للجرو: أتدري ما هذا؟ قال: لا..

أمســـكت رأس الجرو ووجهته إلى الرجل وكأنها تريد منه أن يتعرف عليه، وقالت: هذا جرو ذئب أخذناه صغيراً وربيناه داخل بيتنا، وأرضـــعناه من حليب هذه الشـــاة، فلما كبر أول ما فعله أنه قتلها كما ترى. ثم أنشدت تقول:

بقرت شويهتي وفجعت قلبي، وأنت لشاتنا ولد ربيب

غذيت بدرها وربيت فينا، فمن أنباك أن أباك ذيب

إذا كان الطباع طباع سوء، فلا أدب يفيد ولا أديب..

☆ ☆ أما هذه، فهي الطباع..

والفرق بين الطباع والعادات.. أن الطباع تنشأ داخل الإنسان قبل ولادته، أي أن الشخص يولد معها وتولد معه، وبالتالي فهي متأصلة فيه، وتغييرها قريب من المستحيل . . . بينما العادات يكتسبها الشخص من خلال التجارب والاحتكاك بالعالم الخارجي، وبالتالي يمكنه في أي وقت التوقف عنها بإرادته، أو من خلال مؤثر خارجي يجبره على ذلك..

ولا يفيد مع الطبع التمرن أو التكرار أو تطبيع النفس على شيء جديد، لأن التغيير الذي تحصل عليه تكون نسبته ضئيلة، تكاد تكون غير ملموسة أبداً، فهذا الطبع يغلب التطبع. فالذي قرأ كتاب سيتغير بقدر وقت القراءة، ومن استمع إلى موعظة ينقلب حاله لساعات ثم يرجع بعدها للذي كان عليه. ومشكلة الطباع هي: أن نقل جبل من مكانه أهون من تغيير الطباع..

قد يتحول الإنسان من الكفر والإلحاد وسوء الأخلاق والظلم والكذب والسرقة. إلى الإسلام والسلام والاطمئنان وحسن الخلق، والإحسان إلى الناس والابتعاد عن كلّ ظلم، يتحول للكرم والتواضع والتلطف بالكلام والأفعال.. ومع هذا فإن طبعه يلازمه، من غضب أو استعجال أو انطوائية والقسوة والخوف والبرود والتردد ومُعارضة الغير.. هذه الطباع راسخة في تصرفات الشخص، وتمد جذورها عميقاً داخله...

تجد أحدهم يجلس وحيداً في المنتزه، أحضـــر أطفاله ليلعبوا هناك، وقبع على أحد المقاعد عابساً، لا يعجبه شيئاً..

كلّ ما في الحديقة ممتع، الطيور التي تعتلي الأشجار، والقطط تركض خـائفـة من الأولاد، والحيوانـات التي اعتـادت العقـال حول رقبتها، صـغار يبكون بلا سبب، وآخرون يضـحكون بلا سبب ايضـاً، والأمهات الحائرات.. غيره يسـتمتع بمراقبة مسـار ورقة الشـجرة منذ أن انتزعتها الريح من غصنها حتى تصل للأرض، بينما هو لو سقطت الشجرة كلها بجانبه فلن يبالي..

هناك الكثير من محتويات المنتزه التي تجعل الناس ينتشـــون البهجة، وهو يعصـر عينيه بلا سـبب حتى تمعّر وجهه، وأصـبح جبينه مليء بالطيات يشبه خرطوم الفيل..

لهذا عليك المحـاولـة، فمن المهم جداً إحداث بعض التغيير في هذه الطباع، ومراقبة السلوك باستمرار..

☆ ☆ ☆

أقيمت دراسة بسيطة على مجموعة كبيرة من الأفراد، رجال ونساء، من الشباب، وكبار السن، والأولاد الصغار أيضاً. تمت دعوتهم لقاعة كبيرة لحضور ندوة تعليمية ومسابقة. رتب القائمون على هذا الدراسة مدخلين إلى القاعة الرئيسية، الأول وضعت في مقدمته وعلى مرأى من الجميع لافتة كُتب عليها "مدخل خاص للشباب والأولاد" ووضعوا داخل الممر صور لأيقونات الرياضة ومشاهير الأولمبياد.. أما الممر الثاني كُتب فيه "مدخل خاص لكبار السن" ووضعت داخله صور لعجائز يمشون على عكاز ويُدفعون بالكرسي المتحرك، وبعض العلامات التي تشجع على مساعدة الكبار في عبور الشارع والتعامل معهم بلين وسهولة رأفة بحالهم.. تم دفع العوائل والأشخاص المشاركين داخل الممرين عشوائياً بدون فرز أو تنظيم، بعدها تمَّ حساب النتائج التي أجريت التجربة من أجلها..

تبين أن الأشخاص الذين سلكوا الممر الذي كُتب أعلاه "مدخل خاص لكبار السن" تأخروا في الوصول بفارق بعض الوقت نسبة للذين اجتازوا ممر الشباب. لأن عقولهم أعطت ايعاز للجسم بأنهم في موقع الضعف والفتور، وكانوا يشاهدون صوراً لكبار السن وطريقتهم في المشي والحركة. هذا ما اعتادوا رؤيته وتبرمجت عليه عقولهم لحفنة من السنين. ذاكرتهم خزنت مسبقاً معلومات عن حالة العجائز وتصرفاتهم، وتمَّ تطبيقها على جميع مفاصل الجسم، واستُخدمت هذه البيانات لا إرادياً.. تناقصتْ حركتهم وأصبحوا هادئين، كلّ هذا بلا وعي منهم..

احذر من سوء هذه الطباع، فالطبع السيئ يؤذيك لكنك تتعود عليه فلا تشعر به، ومع الوقت يصبح سلساً وتألفه، ثم تعتبره سمة لك ومزية فتُدمن عليه، وبالمقابل يقل الخوف من تبعاته.. هذا حال الطباع والعادات، تلتصق بك، ثم تعجبك، ثم تفتخر بها وتدافع عنها، وعندما تصل بك الطباع لهذا الحد، فلن تهتم لأمرها حتى لو كانت كلّها عبارة عن أذى، وإساءة..

أشد القتلة في العالم هو البعوض، تلك الحشرة العاجزة الذليلة تقتل ما يقارب سبعمئة ألف شخص حول العالم في العام الواحد. تتكرر الحالة وتقتل كل سنة نفس العدد وأكثر.. ومع هذا فلا أحد يهتم لها، لأن لسعتها أصبحت جزء من حياتنا..

☆ ☆ ☆

الهامستر وبعض القوارض الصغيرة بالكاد تستطيع أن تجلس وتبقى ساكنة، غريزتها تدفعها للحركة، تعودت الجري والحركة من زاوية لأخرى. حيث أنه يستطيع الجري في الدولاب ما يقارب اثنا عشر كيلومتر خلال الليل، وهذا مهم للمحافظة على غرائزها..

الهدف الرئيسي والسبب الذي يجعلهم يستمرون في الحركة هو البحث عن الطعام وتخزينه، ومن الممكن أن يتأذى الهامستر أن ترك الاستمرار بالحركة..

إن الحياة في قفص لا تتطلب هذا البحث المكثف من الهامستر لأن الطعام متوفر، ولكنه اعتاد الجري سواء إحتاج للطعام أم لا، لأن غرائزه لا تختفي. مربو هذه الأنواع من الحيوانات يعلمون أن الركض المعتاد داخل القفص من زاوية لأخرى ليس ذا أهمية خاصة للقوارض، أكثر من كونها فطرة وعادة.. لذلك يستخدمون الطريقة الوحيدة المتاحة وهي العجلة الدوارة، عجلة الهامستر، ليتحرك داخلها بسرعة مماثلة للحركة في البيئة الطبيعية...

بالنسبة للإنسان هذه الطباع والعادات تكون كنقطة مركز، وكل إنسان يمتلك هذه النقطة في حياته، أينما ذهب سيعود إليها..

فهل تريد أن تصبح مثل هذا الهامستر أسير للطباع والعادات، وتقوم بنفس الفعل ونفس الأفكار لأعوام، حتى عندما لا يكون هناك أي مغزى من هذا الفعل. أم تنوي تغيير هذا ؟..

لن تشعر بالعادة التي تكررها، لن تشعر بها بنفسك ولن تستغرب من تكرارها.. أنت الوحيد الذي لا يلاحظ وجودها مع أنك أكثر من يفعلها ويواظب عليها.... كما لو أنك ترتدي نظارة وعدستها تحتوي على ثلمة صغيرة، فإنك لن تلاحظ هذه الثلمة إلا في الأيام الأولى، سوف تزعجك في البداية فقط، ثم تتعود عليها مع مرور الأيام ولا تشعر بوجودها أصلا..

هكذا أنت مليء بالطباع والعادات التي لا تعجبك، تتراكم عليك الهموم والمصائب بسببها، لا يمكنك تغييرها مرة واحدة، سيكون الأمر كأنك تهدم مجمع سكني ضخم استغرق بناؤه عدة سنين، وأنت تريد هدمه بمطرقة، ستجد الأمر صعباً ويغلبك اليأس من أول محاولة. لأن هذه الطباع والعادات عمرها سنين، مترسخة داخلك بعمق ويصعب التخلص منها، لكن لو استطعت تغيير واحد بالمئة منها فأنت بخير..

حارب السيئة منها واحدة تلو الأخرى، ولو انتصرت بعد فترة طويلة فقد حققت إنجازاً عظيماً. ابدأ بجزء واحد فقط واستمر لفترة طويلة، وسيتم التخلص منها ولو بمقدار بسيط. وكما بُنيت داخلك بلا وعي منك، ستتخلص منها بلا وعي أيضاً...

☆ ☆ ☆

لا بدّ أنك سمعت يوماً من يقول "العرق دساس" هل تعرف قصة هذا المثل التي هي أقرب للخيال ونوادر العرب.. ترتبط هذه القصة بمقولة "كل إناء ينضح بما فيه".. ومهما غير الإنسان من تصرفاته وارتقى أو تدنى فإن أصله وعرقه يُظهر حقيقته. يتضح ذلك من خلال أفعاله وتصرفاته، ولهذا المثل قصة شهيرة وقعت قديماً بين ملك وسياسي..

في يوم من الأيام وصـل إلى أسـواق البلدة رجل غريب وأخذ ينادي في الناس: يا أهل البلدة الكرام أنا رجل سـياسـي، أسـتطيع حل المشكلات وتخليصكم من الأزمات، أنا أفضل سياسي يمكن أن تسمعوا بـه. وظل هكذا ينتقل من حي إلى حي وهو ينـادي في النـاس ويعرفهم بنفســه. فلما ســمع حراس البلدة بكلام هذا الرجل الغريب نقلوه للملك، فأمر حراسه أن يحضروه..

امتثل السـياسـي بين يد الملك سـأله قائلاً: هل أنت سـايس؟ فأجاب الرجل: لا يا مولاي أنا سـياسـي ولسـت سـايس. فقال له الملك: ولكني سمعت أنك تعمل سايس، ولهذا قررت تعيينك في بلاطي سايساً للخيـل، فلي فرس غـاليـة على قلبي وأحبهـا كثيراً، وأريـد منـك أن ترعاها. فتململ الرجل وقال: يا مولاي، لكني لست سايس بل سياسي..

فقال الملك بصوت حازم: أنت سايس ولا شيء غير هذا، وإن رفضـت عرضـي قطعت رقبتك.. فوافق الغريب على قرار الملك خوفاً منه ..وبالفعل ذهب ليتسـلم الفرس من السـايس السـابق، فحذره قائلًا: هذه الفرس لها مكانـة كبيرة عند الملك، فإياك أن تخبره بالعيوب التي تراها وإلا أعدمك على الفور..

ارتعدت فرائض الرجل وخشـــي على روحه من تلك المهمة الصـــعبة، فعاد للملك وطلب أن يعفيه من تلك الوظيفة لكن الملك رفض، وذكرّه بتهديده إن لم يعتنِ بفرسـه، فانصـاع الرجل ثانية لأمر الملك..

قام موظفو القصـر بتجهيز غرفة له ومنحه ثلاث وجبات جيدة في اليوم كي يباشـــر عمله في رعاية فرس الملك، وبالفعل بدأ الرجل عمله، لكن بعد عشـرين يوم تقريباً هرب ليلاً من القصـر واختفى في المدينة..

بحـث عنـه الحراس في كـلِّ مكـان حتى وجـدوه، وعنـدمـا أحضـــروه أمام الملك ســـأله: لماذا هربت أيها الرجل؟ هل وجدت في الفرس عيباً؟ قال الرجل: أعفني من الجواب يا مولاي. انحنى الملك للأمام قليلاً وقال بغضـــب: أخبرني في الحال ســـبب هروبك وإلا أعدمتك، فقال الرجل وهو يرتجف خوفاً من رأسه حتى أخمص قدميه: أعطني الأمان يا مولاي.. فقال: لك هذا. فأجابه:

يا مولاي هذه الفرس أصـــيلة، ولكن حينما يخبرك أحد أنها رضعت من أمها الأصلية، فاسمعْ ولا تصدق..

غضـــب الملك من هذ الكلام ولكنه تذكر وعده له بالأمان فلم يعاقبه ،وإنما اكتفى بســجنه، وأرســل في طلب الوزير الذي أهدى له هذه الفرس وقال له: كيف تهديني هذه الفرس على أنها أصــيلة، وهي لم ترضع من أمها الأصلية؟ فقال له الوزير: يا مولاي الملك لقد ماتت أمها عند ولادتها فقال الملك: وممن رضـــعت إذاً ؟ قال الوزير: من بقرة كانت لدي حينها..

هنا علم الملك أن كلام الرجل صـــحيح فأمر بالإفراج عنه وتقديم الطعام والشراب له، ثم طلب حضوره. فلما جاء السايس قال له الملك: أخبرني الآن كيف عرفت أن فرســي لم ترضــع من أمها؟ فقال الرجل:

يا مولاي.. إن الفرس الأصـــيلة تأكل في معلف أو تعلقه في رقبتها وتأكل مرفوعة الرأس، أما هذه الفرس كانت تبحث عن الطعام في الأرض مثل البقر والماشية..

تعجب الملك من فطنة وذكاء الســـايس وطلب منه أن يعمل بخدمة الملكة.. ولكن الســـايس أصـــرّ على الملك أن يعفيه من تلك المهمة، وكالعادة رفض الملك..

بدأ الرجل ممارسة مهام وظيفته الجديدة، وما هو إلا يومين أو ثلاث وهرب الرجل. بحث عنه الجنود في كل مكان حتى وجدوه. فلما حضر بين يدي الملك سأله: لماذا هربت هذه المرة أيضاً؟ فطلب السايس من الملك أن يعفيه من الجواب، ولكن الملك أعطاه الأمان حتى يجيب فقال له:

يا مولاي إن زوجتك تربية ملوك وأخلاق ملوك وشرف ملوك. ولكن من يقول لك أنها ابنة ملوك، فاسمع ولا تصدق. فبهت الملك من قول السايس وأمر بسجنه ثانية، ومنع الطعام عنه.. ثم سافر إلى أم الملكة وأبيها كي يستوضح منهم ما قاله السايس. فأخبروه بأن والده كان رجلٌ ظالم، وقد خطب ابنتهم له منذ كان عمرها سنتين، ولكنها مرضت بالحصبة وماتت، فخشوا من بطش الملك. ولهذا جاؤوا بطفلة يتيمة وربوها على أنها ابنتهم لتصير زوجة ابن الملك..

رجع الملك إلى مملكته وأمر بإحضار السايس، ولما امتثل بين يديه سأله متعجباً: كيف عرفت؟ فقال الرجل: يا مولاي إن مولاتي تتغانز بعينها عندما تتكلم، وذلك من عادة الغجر في الكلام وليس من عادة الملوك في شيء..

انبهر الملك بذكاء الرجل، وأمر له بغرفة رائعة الجمال وعشاء فخم، ثم أمره أن يعمل على خدمته ويصبح خادماً شخصياً له، فدبَّ الرعب في أوصال الرجل وحاول التملص بكل الطرق من

الوظيفة الجديدة، لكن الملك أصـــرّ كالعادة وهدد بعقابه إن رفض. فهرب الرجل عند أول فرصة سنحت له ليلاً، لكن الحراس استطاعوا الإمساك به. فلما جاؤوا به للملك سأله: لماذا هربت ورفضت خدمتي؟ أجبني ولك الأمان. فقال الرجل: يا مولاي، من يقول لك أنك ابن ملك، اسمع ولا تصدق. فجن جنون الملك حينما سمع بذلك. استل سيفه وهمَّ بقطع رأسه، لكنه تذكر وعده له بالأمان فلم يقتله، وأمر بسجن الرجل..

ثم ذهب لأمه كي يستوضح منها الأمر، وسألها: ابن من أنا؟ فقالت له: يا بني لقد كان والدك ظالماً وعقيماً لا ينجب، وكان يتزوج كثيراً، وإن مرت تسعة أشهر دون أن تنجب زوجته كان يقتلها ويتزوج غيرها. وكان عندنا طباخ في القصـــر له ولد رضـــيع، فأخذته منه وادعيت أنه ولدي حتى لا يقتلني الملك، هذا الولد هو أنت، والطباخ هو أبوك..

رجع الملك إلى السايس متعجباً وقال له: أخبرني كيف عرفت أنني لســـت ابن الملك؟ فقال الرجل: يا مولاي إن الملك حينما يعطي ويهب، يعطي ذهباً وفضة، وحينما يعاقب يقتل ويسجن. أما أنت فكنت عندما ترضـــى عني تعطيني مرقاً ودجاج، وطعاماً فاخراً، وحينما أعصاك كنت تمنع عني الطعام وتسجنني، فمن يرافق الطباخ لن ينال حين يرضى عنه سوى الطعام، وحينما يغضب عليه يقتله الجوع..

فالعرق دساس يا مولاي..

أكثر من عليه الحذر والخوف من ســـوء الطباع والعادات هو الشـــريك عند اختيار شـــريكه.. لأنه لن يتغير، ولو كان ذاك المحب الأعمى، الذي يتنازل عن كلّ مبادئه ويكذب ويوافق ويتلوى مقابل ابتسامة..

الزوج المؤذي، الصديق، أو الشريك السيء، الإنسان الظالم الذي تعيش معه، لا تنتظر صلاحه. عالجْ موقفك من البداية، لا تنتظر التغيير بلا بادرة منه ونية صادقة لتقويم وتهذيب سلوكه..

لا تخشَ الخسارة، سوف تخسر بعد عمر طويل، وتحيا فضالة عمرك المفقود تعضّ أصابعك نادماً على تحملك الظلم، تعضّ إصبعين بدل الواحد وبقوة، ومع ذلك لا يشـــفى لك جرح، ولا تنطفئ النار التي في صدرك. فلا تنتظر ولا تصبر..

ستعضّ أصابعك ندماً لحصول ما كنت تخشاه، ومعه فوات الوقت، وضياع القوة والفرصة للنهوض من جديد، وضياع الروح، وهذه أشـــدها ألماً. فلا تقترب من ســـيىء الخلق والطباع ولا تتخذه صديق، ولا شريك. ولا تعذره ولا ترتجي منه أي خير، فلن يتغير. لا تقترب منه، إلا.. إن كنت من النوع الذي يحب الخضـــوع والعيش الذليل..

تزوجت فتاة من رجل غريب عنها، زواج بعد علاقة حب مفاجئة، قصيرة، عاصفة، يمكن اختزالها في كلمة (لهفة البدايات).. أحسّت الفتاة من أول شهر معه أن هذا الرجل به خطب في عقله.

مرت الأيام على خير حتى سبعة أشهر، بعدها بدأت المشاكل. هذا النوع من المشاكل التي تظهر بلا سبب، تقفز إليك مثل الصرصار، وأنت جالس تستمتع بيومك فتجد الصرصار بحضنك أو يتسلل إلى قدمك فيجعلك تنتفض بقوة.. بدأت بينهما مشكلة تافهة لا تستوجب حتى التكلم بها، إلا أن ردة فعل الزوج كانت غريبة بالنسبة للفتاة، وليست غريبة على الواقع. سبقت يده لسانه، بل وسبقت عقله أيضاً، إنهال عليها بالضرب..

ذهبت لأهلها، وشكت لهم الحال فقال لها الأب: اصبري سوف يتغير. الأم تبكي لحال ابنتها ولا حول لها ولا قوة. أما الأخوة فقد غضبوا بشدة وبدأ الشرار يتطاير من أعينهم، أرادوا من لحظتها أن يذهبوا ويقطعوه لأجزاء حقيرة، لكن هذا الغضب تلاشى حين انفرد كلّ منهم مع زوجته..

أخبرته أن أخته إذا طُلِقت ستأتي وتعيش معهم، وهذا أشدّ ضرراً من تربية دجاجة بحجم متوسط تعيش معها في غرفة واحدة، تنقّ عليها ليل نهار. حتى إن وجدت قشرة جوز في سلة المهملات ألقاها طفلٌ أو سقطت في كيس البقالة سهواً، ستقول أخت الزوج:

إن كتّتنا تأكل الجوز وتخبئه عنّا، وهل نحن بحاجة لهذا، بطوننا ممتلئة والحمد لله. ستخبر جميع أهل الدار، والجيران، والأقارب، وبعض النساء التي تلتقي بهم أثناء التسوق عن جريمة قشرة الجوز البشعة.. من النادر أن تتبادل الكنّة وأخت الزوج شعور المحبة، حتى لو كان تصنّع وتكلّف مؤقت..

المهم نعود لرامبو.. عادت المرأة لبيتها، وهي تحاول أن تصلح ما فسد، وقد ألقت بالملامة على نفسها وبحثت عن سبب المشكلة لعلها تكون السبب فلا تكرره، ظنا منها انه سيغير من طبعه لو صبرت عليه. عادت لبيتها وهي تنوي أن تبدأ معه من جديد. لقد مرت الأمور بخير، وهي تتحرك بحذر لئلا تحدث مشكلة أخرى..

وفجأة، ومن الفجر، بعد الشروق بلحظات، حتى قبل أن يكتمل قرص الشمس بالظهور كلياً، افتُتِح مهرجان الضرب، ضرب بلا تأن، وكذلك بلا سبب، يبدو أن حلماً أزعجه بقوة، ولا سبيل لتفريغ هذه الشحنة من الغضب إلا في هذه المسكينة..

حملت رضيعها معها وطرقت باب أهلها، ولا حاجة لتشرح لهم ما حدث، فدموعها وبعض الكدمات أعطت تقريراً مفصلاً. الأب غاضب يصرخ: عودي لزوجكْ وتحمّلي، هذه هي الحياة، اصبري على الحلوة والمُرّة..

الأخوة لا أحد يهتم ولا ينبس بحرف. زوجة الأخ تنظر لها باحتقار، وهي متأكدة أنه سيتم طردها قبل أن تقعد على الأريكة، لأنها سلمت المخطط لزوجها. أما الأم، صامتة، هادئة، لا تبكي، حقاً! مستحيل. إن قلبها يحترق وكانت تبكي حين سمعت بالخبر، لكن الجميع زعق بها وقالوا لها: لا تحرضيها على خراب بيتها..

رجعت الفتاة، أرملة الأحلام، لبيتها.. خالية من أي ضمان وأمان، وبلا أي قوة تسند لها ظهرها. رأسها فارغ تماماً، فارغ مثل جيبها ومعدتها ومستقبلها. أمسكت مقبض الباب وأنزلته للأسفل، وكأنها تحكم على نفسها بالسجن المؤبد والأعمال الشاقة إلى أجل غير مسمى.

زلفت للداخل فرأت العنتري ممدد على الأريكة، كمن أكل حتى الشبع، يبدو أنه طلب وجبة جاهزة من المطعم. لم ينظر لها، ولن ينظر بعد اليوم، فقد اطمأن أنه لن يردعه أحد . . . وكما يخبرك الأدب الروسي "ولا يسيئ الرجل إلا لمن يضمن بقاءها" ..

بعد هذا اليوم، ولسنين طوال، طوال جداً على هذه المسكينة. عاشت بعدها بين ضربة عصا وحذاء طائر، وبين لكمة قوية بحقد، وكوية بالنار، وكسور في اليد والأصابع والقدم، ونتف للشعر، ووجه يتقلب بكل الألوان..

تعودت المسكينة على الألوان وحفظتها عن غيب، فبعد اللكمة بيوم تعرف أن أعلى خدها سيصبح أحمر، ثم تستيقظ في اليوم التالي، وقبل أن تنظر في المرآة تعلم أنه قد تحول إلى البنفسجي، ثم يوم بعد يوم أصفر، وأخضر، ثم البني الفاتح.. ثم يعود لحالته الطبيعية حتى دورة حياة اللكمة المقبلة.. لكنها لا تتفاجأ من هذا لأنه يحدث كل شهر مرة تقريباً ، أو أكثر..

كبر ابنهما الوحيد ، وكان يتلقى الضرب والتعذيب بالتساوي مع أمه، كان يندم بعد أن يتعب وتؤلمه يده من شدة الضرب وكثرته، ويعتذر، لكن ماذا ينفع هذا الندم الكاذب..

مرت السنون على هذا الحال وأشد، حتى تزوج عليها بعد خمسة عشر عاماً، ثم طلقها بعد سبع وعشرون عاماً من زواجهما..

الجمل لا يرى عواج رقبته ...

عندما تريد أن تهدم ما بنيت ...

عام ٢٠٠٤ كنت طالباً في معهد إعداد المدربين التقنيين في منطقة "الزعفرانية". كنت أدرس بجد لأحصل على معدل ممتاز يمكّنني من إكمال الدراسة والحصول على شهادة البكالوريوس، وفي نفس الوقت كنت أملك صالون حلاقة للرجال في الحي الذي أسكن فيه (المجمع السكني في شركة مصفى الدورة)، وقد أفردت ما قيمته ثلاث ملايين دينار لترميم الصالون القديم، وتبديل الأثاث والواجهة والكراسي، والأدوات كلها حتى شفرة الحلاقة والمقص. وادخرت الكثير من المال في حسابي المصرفي لشراء بيت، والأجمل من هذا كله أني نويت الزواج وحددت موعد الخطوبة. كل هذا سيتم تطبيقه في الشهر السابع من عام ٢٠٠٦..

نعم أتذكر الموعد بالضبط التخرج في الشهر السادس، ثم إعادة ترتيب الصالون، ثم التقدم للخطوبة والزواج. كانت خطة رائعة ومستقبل جميل وحلم سيتحقق عن قريب.

فجأة خطرت ببالي فكرة أن أنتقل إلى مدينة أخرى، ومما زاد من نشاط هذه الفكرة الهدامة هو طبع أكرهه يلازمني منذ طفولتي، إنه الاستعجال. وتخيل ماذا دمرت وماذا أفسدت وماذا أتلفت ..

لقد استأصلت أحلامي من جذورها وأرديتها قتلى برصاص الطيش والتسرع، ضيعت تعب السنين بليلة وضحاها..

لقد فقدت أعز أصدقائي، صديق الطفولة الذي لن يتكرر، ولن ينفع التواصل عن بعد، فالبعيد عن العين بعيد عن القلب، والعكس بالعكس. خسرت جيراني الطيبين حلوين المعشر، لطالما أعان أحدنا الآخر وسّد حاجته. أضعت ذكرياتي التي صُنعت بجنون لأربع وعشرون سنة..

أما الخطط الرائعة التي تعبت في تنفيذها ونسجتها كما يفعل العنكبوت مع خيوطه، بُوصة بُوصة حتى يكتمل العش، بارَت هذه الخطط وأُعطبت كأحلام فتاة مات والدها قبل أن تبلغ العشرين من عمرها..

عندما انتقلت هناك كنت تائهاً بلا رفاق، بلا عمل، بلا جيران، وبلا أي هدف محدد..

لقد بدأت من جديد وتداركت نفسي، استأجرت صالون حلاقة، وأنهيت دراستي، ثم عدت لمنطقتي القديمة لفترة يسيرة من الزمن وتزوجت من نفس العائلة. خسرت أكثر من عشر سنين لألملم ما تفرّق، ومع ذلك لم أستطع أبداً أبداً أن أعوض صديق الطفولة، أو الذكريات ...

وهـذا الانتقـال المؤذي لا ينطبق على المكـان فقط، فحتى الانتقال من عمل إلى آخر ممكن أن يجعلك تخسر الكثير.. بعد عودتي لبغداد عملت في التأسـيسـات الكهربائية للمنازل والعمارات السـكنية، كان العمل جيداً والدراهم تتدفق بغزارة والحمد لله، ثم كررت خطئي كأنه يحدث للمرة الأولى ..

تركت مهنتي واشـتريت محل للمواد الإنشـائية والعدد اليدوية بحجة أني تعبت من العمل والجهد البدني، فكرت بالراحة والجلوس في المحل. لكني تفاجأت بخسـارة تتلوها خسـارة، ثم ديون، وتعب للروح قبل الجسد، وضياع للوقت في سجني الصغير، سجنت نفسي لخمس سـنين ثم تركته، أو بالأحرى هو من تركني وركلني خارج أسواره بكفالة قدرها خمسة عشر مليون، وهي قيمة الديون التي تعلقت في رقبتي ..

كنت أظن اني سـابقاً قد تلقنت درسـاً عن مسـاوئ التغيير والارتحال، لكن حادث المحل صفعني بقوة ليثبت لي نقيض هذا ..

لا تترك شيئاً جميلاً فلن تحصل عليه في المكان الجديد، ولن تسترجعه حين تعود، حافظْ عليه من البداية، فلا شيء يعود كما كان. الانتقال أمر خطير ومؤلم جداً، سببه الهروب، أنه محصلة وعاقبة الخوف والهرب ..

فحين يخاف الشخص يهرب بدلاً من المواجهة وإيجاد الحلول، وهذا خطأ يدمر الكثير من الناس. لو أن أحدنا واجه مشكلته وصبر حتى يجد لها حلاً سهلاً لحافظ على نفسه، واستبقى على علاقاته وممتلكاته، وخرج بضرر أقل ..

والمتضرر الأكبر من الانتقال هم أولادك، لأنه يؤذيهم في أحلامهم ودراستهم وأصدقائهم وقوتهم. فلا تضيع تعب سنين لمشكلة واحدة حدثت معك ..

أما إن كان الانتقال إلى مكان جديد هو الحل الوحيد ولا طريق آخر لتسلكه، فافعلْ ذلك بروية وتبصّر ..

قبل أن تذهب لشـــراء بيت، قبل أن تترك كل ما تعبت لجمعه وتنظيمه، اذهبْ واســـتأجر منزلاً هناك، في المكان الجديد، جربْ الحياة، تعرّف على أهل المنطقة، اعرف طباعهم، اعمل هناك، هل العمل متوفر؟ هل يمكنك الحصـــول على المال بســـهولة ؟ كيف هو مســـتوى المنطقة من الأخلاق والثقافة ؟ كيف ســـيكون حال أولادك هناك؟ هل سيتغيرون للأفضل، أم للأسوأ ؟..

الكثير من الناس حين يريد الانتقال يقول ذهبنا ولعبنا، الحياة جميلة والطبيعة رائعة. لأنه ذهب للســـياحة والترفيه، لم يجرب الحياة الحقيقية، لم يعمل، لم يخالط الناس ويتفحص حالهم، ولو فعل ذلك لتغير رأيه، لأن البداية ســـتكون جميلة بلا شـــك.. أما بعد فترة طويلة ستكتشف العيب والخلل.. لذلك اذهبْ واستأجر هناك، وبعد أن تقضي عدة أشـــهر لتتأكد أن عائلتك ســـتكون بخير، بعد ذلك اذهبْ واشـــترِ منزلاً..

واجعلْ هذا الانتقال دافعاً للتغيير نحو الأفضـــل، وترك الطباع السيئة، والبدء من جديد. اتركْ الماضي ومساوئه ومواقفه الحزينة. لا تقلّب الماضي إلا لتسترجع ذكرياته الجميلة..

ومع كلّ هذا فإن نسبة النجاح من التغيير أو الانتقال، والحصول على الخير منه، هي نسبة ضئيلة جداً..

لأن المشكلة دائماً نفسها، وهي ترك ما تعبت عشرات السنين من عمرك وجهدك لتصل إلى هذا المستوى، وها أنت تهدمه وتبدء من جديد..

عندما تخطر ببالك هذه البلوى وتنوي التغيير والانتقال.. انظرْ حولك ، أمهلْ نفسك بعض الوقت لتتفحص نجاحك ، لتفخر بما حققت، لتعدّ إنجازاتك.. ثم ها أنت ترى حالك ، لقد وصلت الى تسع وتسعون بالمئة من أحلامك ، والآن ستتركها كلّها وتمزقها ، وتعود إلى الصفر لتبدأ من جديد..

لأنك في الحقيقة لا تريد أن تتغير أو تنتقل للخير ، وإنما تريد أن تهدم ما بنيت ..

الخبرة ، هي المشط الذي تهديك إياه الحياة،

عندما تكون قد فقدت شعرك ..

وقت الحرية ...

فترة الأربعينات، الإنسان في سن الأربعين، الرجل في عقده الرابع، مرحلة الأربعين، كل هذه مسميات لأجمل مرحلة في حياة الفرد، إنها مركز القوة بأوجها، تصل فيها إلى القمة، قمة العقل والنشاط والقوة والصحة.. لقد قضيت عمرك كأنك تتسلق جبلاً شاهقاً، وها قد وصلت سفحه في عمر الأربعين .. أنت الآن بين واديين ، وادٍ وراءك تنظر إليه وتتذكر ماضيك ، ووادٍ أمامك تتطلع إليه ، إنه مستقبلك ...

إن عمر الأربعين هو الوقت المثالي للتغيير ونسيان الماضي وكل سيئاته، والتعلم من أخطائه سواء كنت أنت مصدرها أم غيرك. اكتمل عقلك، وخضت التجارب، وتعلمت الكثير.. أوصاك الله بهذا العمر خاصة، هذا العمر فقط.. أوصاك بوالديك وأبنائك ونفسك وعملك وعبادتك. قال سبحانه وتعالى ((حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ))

فأنت في ذروة قوتك وهامة عقلك ورجاحته، تتذكر ماضيك وتسأل المغفرة من الله، وأمامك المستقبل تسأل الله أن يعينك عليه..

أما حين تصـــل إلى منتصـــف الثلث الأخير، في الســـتين من عمرك، فـاعلم أنـك في أجمـل الأيـام. يظن الجميع أنـه وقـت الألم والأمراض والوحدة، والتحســـر على ما فات.. على العكس تماماً، أنه أحلى أيام العمر، فكلّ ما تفعله تفعله بحب ورضـــى، وبالطريقة التي تعجبك..

لن يحاســـبك أحد على الســـهر ليلاً، أو النوم طيلة النهار، ومشـــاهدة ما يعجبك من البرامج، وتناول ما تشـــتهي من الطعام وقتما تشـاء، والذهاب لأي مكان.. لن تُسـأل عن سـبب صـمتك، ولن يمنعك أحد من الكلام. لن يجبرك أي فرد من عائلتك لفعل ما تكره..

سـتسـمع زقزقة العصـافير، وتشـعر بها كأنها المرة الأولى، سـتنظر لمياه دجلة، ولن تراها كمياه تجري في أخدودها، سـتشـعر بها كأنها تسـري داخلك. سـيكون لك أصـدقاء لا مثيل لهم في الحياة، بلا مصـالح ولا حسـد ولا زعل أو غضـب، حتى لو حدث زلل فلن تحدث مشكلة، ولن يبالي أحد..

في هذا العمر كلَّ حدث هو ناشـئ جديد، لا شـيء يشـبه ما مرّ ومضـى. يبتسم لك الجميع، يأتي الأحفاد يركضـون لحضـنك، وأولادك لرعايتك، وبناتك لا تفارق نظراتهم عيونك ووجهك وتفاصيله..

ستأكل وتشرب على مهل حتى تشبع، فليس هناك أمر عاجل ينتظرك، والأجمل من هذا كله أنك حين تسرح بأفكارك ليس مثل الشباب، الشاب يسرح هماً وحزناً، يبحث عن الأخطاء، ويزداد ألماً إذا لم يجد لها حلاً ويصلحها، وحين تراه يسرح تجده مهموم عابس غاضب..

أما أنت، فتسرح رضا عن حياتك، وتبتسم لنفسك على ذكريات قديمة لن تنسى روعتها، ذكريات جرأة وشجاعة، ذكريات الفوز بالمستحيل، ذكريات كلها رضا وغبطة..

حين تسرح تبتسم، وحتى إن أسررت ذلك، فمن يحبك سيعرف أنك راضٍ ومنشرح الأسارير، يعرف ذلك من توسع حدقة عينيك وصفائها..

ستنتبه لأدق التفاصيل، نسمة الهواء، لسعة شمس الصباح، الأطفال حين يسيرون يشدون ثياب أهلهم، ستحب جميع من تلتقي بهم، طفل يبكي، كلب ينبح، قط يمزق أكياس القمامة، فتاة تلعب بالتراب، أولاد يطرقون الباب ويفرون، صبي يسرق العلكة من الدكان.. ستحبهم وتنظر لهم ببهجة، لن يُغضبك تصرفهم المزعج.. وهناك أمر مدهش حقاً، فأنت لا تدري كيف تحولت بلا إدراك منك لهذه الروح الجميلة، ولن تهتم لكيفية حصول هذا..

"لقد اصبحت قريباً" لتكن هذه الكلمات هي قاعدتك في الحياة، فأنت قريب من الجنة لتشدّ همّتك ، وقريب من قلوب الجميع ، فافرح بهذا..

إنه وقت الحرية.. ابحثْ عما يسليك مع أصدقائك رفاق الدرب، من الأقارب والأصدقاء والجيران، وحافظ على صلة الرحم.. احضرْ العزائم والمناسبات، تنزه مع أولادك وعائلتك إذا دُعيت لذلك، وابتسمْ كثيراً وامرحْ، واضحكْ حتى يمتلئ قلبك بالسعادة..

شاهدْ ما يسرك من طبيعة وأسفار وعلوم جميلة، اقرأ كتاباً جميلاً وتمسكْ بالعلم والتعلم، البسْ الملابس الأنيقة الغالية، وتمتعْ بأموالك التي جمعتها، اهتمْ بصحتك، ومارسْ الرياضة البسيطة والمشي باستمرار..

حتى المرأة في هذا العمر ستشعر بهذه الحرية، تستطيع الآن أن تجلس أمام باب الدار، تجتمع مع صديقاتها كبار السن، ويُقطعن لحوم الأزواج والجيران، مع أنهن لا يستطعن مضغ الطعام، فكيف لو كان الفك مكتمل..

للمرأة الحرية المطلقة في هذا العمر، تسب وتأنب وتنتقد الجميع، ثم يأتون يحملون الهدايا ويطلبون رضاها.. تتواجد في أي مكان غير المطبخ، حتى قبل موعد إعداد الطعام بساعتين..

لها الحرية أن تتوقف عن أداء دور جني المصباح لتلبية الأمنيات، وتوفير الراحة، عناية، طعام، نظافة، ترتيب، تقليم أظافر، تسريح الشعر، إصلاح بين متخاصمين، إخماد غضب الأب حتى لا يضرب أطفاله لأنه تعثر بحجر خارج البيت، رعاية مريض، وضع كمادات خفض الحرارة، سهر مع المريض حتى بعد أن يُشفى بأسبوع..

كلّ هذه الخدمات سوف تتوقف عن القيام بها في وقت الحرية..

☆ ☆ ☆

إذا وصلت لهذه المرحلة فلا تفرض نفسك على مجالس الشباب إلا أن يطلبوا منك، ويلحوا عليك لتجلس معهم، ولا تناقشهم، فزمنك قد انتهى وكذلك أفكارك.. كنْ خفيف الظل على الجميع، لا تكثر من الكلام ولا تذكر سيئات ماضيك فتحرج من يجلس بجانبك.. ولا تشكِ مرضك إلا لطبيبك..

لا تجعلْ الفراغ والحزن وكبوات الماضي تزعجك.. ابتعد عن السياسة كلياً وعن أي مشهد يزعجك، فهذا ليس من شأنك، ولن تغير شيئاً..

لا تغضب لأسباب تافهة وبسيطة، ولا تبالِ بما يقوله الناس، لقد انتهى وقت القوة بكل أشكاله، فلا تتشاجر ولا تتكبرْ، ولا تحمل بروحك الخضرة مالا يستطيع جسدك..

لا تلبس الرخيص، ولا تقلد الشباب فتحرج نفسك وعائلتك.. ولا تفكر في التوفير والادخار وتحرم نفسك من أشياء حلوة لذيذة.. ولا تشغل بالك بالورثة ولا تخف عليهم، عمرهم طويل إن شاء الله وسيصبحون أغنياء بلا شك..

لا تحسد الشباب على سهولة حياتهم اليوم، وما يمتلكون من المسليات وأدوات اللهو، وحصولهم ببساطة على كل ما يرغبون من ملذات الحياة.. لا تركض وراء أهوائك لأنها أحلام ضائعة، إنها حسرة من الشيطان، يريدك أن تحزن وتستمر على الحزن، يريدك أن تندم على ما ضاع من عمرك..

في هذا العمر أصبحت قريباً، قريباً جداً من خط النهاية، انتهى السباق، ومعروف أن من كان في سباق ووصل لخط النهاية، فإنه يجُدّ السير ويندفع ويُسرع، فلم يبقَ إلا القليل لتصل، لتفوز بالجنة، وفي الجنة مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم..

قللْ اهتمامك بمن حولك، ولا تتدخل فيما لا يعنيك.. لا تتكلم عن أزواج بناتك أو زوجات أبنائك بسوء، بحضورهم أو غيابهم، فلن تصلح شيئا، وإنما ستزرع الكره في قلوبهم وتكون سبب لتمزق أسرة.. وعندما تسمع زوجتك وأولادك يتحدثون بينهم ، فلا تهتم إذا لم يكن الكلام يخصك ، أما إن كُنت المستهدف في هذا النقاش ، فلا تهتم أيضاً..

☆ ☆ ☆

إنه وقت الحرية، في هذا الوقت لن تبالي بكثير مما يؤذيك ويزعجك، وستعلم أنه أجمل شعور، وتتمنى لو أنك فعلت هذا من قبل..

ستكتشف أنك لست ذاك الشخص الذي تركته خلفك، تكتشف أنك لست ذاك الضعيف الخائف المحتاج لكل عون، ستعلم أنك كنت أقوى وأكبر وأغنى، ولكنك لم تكن تدري.. تتمنى أن يعود بك الزمن لتحقق الإنجازات، لتربح، لتنجح.. ولا أنصحك بتمني العودة لتحقق بعض هذا الهراء ، لأنه سيزيد حسرتك وحزنك.. ولست بحاجة لهذا..

لقد تألمت كثيراً، وحان الوقت لتهنأ بوقت الحرية،

حان الوقت لتأكل ، لتخرج ، لتتنزه ، لتستمتع ..

أرجوك ، عندما تصل لهذا العمر اصرخ ،

اصرخ لأجلك فقط..

اصرخ عالياً: "إنه وقت الحرية" "إنه وقت الحرية"

أمزح معك . . . أعلم أنك فاهمٌ لبيب ، ولن تصرخ ..

أردتك فقط أن تشعر بها ...

قال أحد الصالحين:
إذا بَلَغْتَ الأربعين ، فَخُذْ حذرك ..

الظربان ...

الكثير من الحيوانات تمتلك صـــفات مميزة وفريدة، حتى إن كانت هذه الصفة من نسج الخيال لكنها تلبست ووُسمت بها. كشجاعة الأسـد وجبن النعام، وحقد الجمل وحلم الخرفان، ومنها مِسـك الغزال، ونقيضــه رائحة الظربان، هذه الرائحة النتنة، الرذاذ الذي يظن البعض أنه السبب وراء اختراع الأسلحة الكيميائية..

هذا الحيوان من عائلة الســمور وابن عرس، يشـــبه وجه الأرنب، وله ذيل عريض وطويل، وعيون صغيرة، وآذان أعلى الرأس وأنف مدبب، وأرجل قصيرة، وجلد سميك جداً وفرو طويل، جلد شديد السماكة لا يتأثر بضـربة السيف ولا بعضـة الحيوانات المفترسـة، ولا تؤثر به سم وأنياب الأفاعي القاتلة..

يصـــل وزنه إلى ثلاثة عشـــر كيلو غرام، وطوله يصـــل إلى خمس وســبعون ســنتيمتر، يمتلك مخالب طويلة وحادة وقوية، يصـــل طولها الى ستة سنتيمترات، تساعده في صنع الحُفر والجحور، وأسنان وأنياب قاطعة وحادة لتقطيع فرائسه التي يصطادها..

الظربان شديد القوة ومن الحيوانات التي لا تخاف ولا تهرب. يلقب حيوان الظربان عند العرب بمفرق النعم، لأنه يبقى وحيداً ولا يعيش مع ظربان آخر، وكذلك فإنه عندما يتوسط قطيع الغنم يطلق ريحه فيبعثرها في كل الاتجاهات...

عند تعرض حيوان الظربان للهجوم أو عند شعوره بالخطر فإنه يقوم باستخدام سلاحه الفتاك، حيث إن لهذا الحيوان نوعان من الغدد الشرجية بحجم الجوز تحت ذيله.. هذه الغدد تفرز سائلاً كريه الرائحة، وتساعد بعض العضلات الموجودة حول الغدد على إطلاق هذا الرذاذ بسرعة وبدقة لا تصدّق نحو الهدف..

وهو سائل زيتي يحتوي على الكبريت، ويمكن اعتباره خليط يشبه رائحة الثوم والبيض الفاسد.. وهو قوي بما يكفي لاكتشافه بواسطة الأنف البشري من مسافة تصل إلى بضع كيلومترات في اتجاه الريح..

هذه المادة النتنة التي يطلقها الظربان هي رائحة كريهة لدرجة أن العدو عندما يصاب بها تسبب له تهيج وحروق في الجلد والغشاء المخاطي، والعطاس المفرط والغثيان والقيء واللعاب، أو يصاب بالعمى المؤقت.. ويمكن أن تودي بأرواح بعض الحيوانات الأخرى، وتؤذي الإنسان بطريقة بشعة..

هذه الرائحة الكريهة تجعل الحيوانات المفترسة أو من يرغب في صيده والتقرب منه بالهرب والابتعاد فوراً عن المكان..

شاهدت تقريراً عن أبشع وأنتن الروائح في العالم، حيث تمَّ تحضير عشر روائح كريهة وعدد من المتبرعين لتجربة شمها وإعطاء رأيهم، ومن بين الجميع تبين أن رائحة الظربان هي أنتن رائحة على وجه الأرض، ويصعب التخلص من هذه الرائحة حتى باستخدام مساحيق التنظيف شديدة الفعالية..

هذه الرائحة القوية ألهمت الكثيرين من أشباه الظربان لاعتمادها في جرائمهم، حيث استخدمت قوات الاحتلال الصهيوني للمرة الأولى سائلاً يُصدر رائحة حيوان الظربان النتنة لتفريق متظاهرين فلسطينيين عام ٢٠٠٨..

وقال مصدر بالشرطة إن قوات الحرس استخدمت ذلك السائل المسمى على اسم حيوان الظربان، والذي يصدر رائحة كريهة لا تحتمل لتفريق متظاهرين فلسطينيين..

يطلق المدفع وابلاً من السائل ذي الرائحة الكريهة ما يؤدي إلى تفرق الشبان في أزقة البلدة..

بالتالي فإن قوة الظربان ودفاعاته وأسلحته وشهرته تكمن في مؤخرته، وأقرب تشبيه يتطابق مع هذه المؤخرة هي السياسة. فلا يخرج من السياسة إلا الشر والقذارات وأسلحة نتنة، تؤذي وتقتل وتفرق أفراد القطيع الواحد..

☆ ☆ ☆

في أمور السياسة حتى من يظنه الناس مثالاً وقدوة للخير، عندما يصبح سياسياً ينقلب مجرماً..

"مارتن لوثر" صاحب الخطاب الشهير "لدي حلم" الذي ألقاه عند نصب لنكولن التذكاري في ١٩٦٣ أثناء مسيرة واشنطن للحرية، عندما عبّر عن رغبته في رؤية مستقبل يتعايش فيه السود والبيض بحرية ومساواة..

بعد خروجه من السجن بكفالة واصل قيادته للحركة، ثم برزت له فكرة تتلخص في السؤال التالي: **ماذا أنت صانع بالأطفال ؟**

فلم يكن إلا القليل من الناس من هم على استعداد لتحمل المسؤولية التي قد تنشأ عن مقتل طفل، ولكنه لم يتردد كثيراً، فسمح لآلاف الأطفال باحتلال المراكز الأمامية في مواجهة رجال الشرطة والمطافئ وكلاب الشرطة المتوحشة..

ارتكبت الشرطة خطأها الفاحش واستخدمت القوة ضد الأطفال، الذين لم يزد عمر بعضهم عن السادسة.. فاقتحم رجال الشرطة صفوفهم بعصيهم وكلابهم مما أثار حفيظة الملايين، وتمّ تعريضهم لضرب العصي، والخنق وسط زحمة العراك، والدوس بالأرجل، والقتل المتعمد..

كلّ هذا لكسب الرأي العام.. وانتشرت في أرجاء العالم صور كلاب الشرطة وهي تنهش لحوم الأطفال وتلعق دمائهم ، وبذلك نجح مارتن في خلق الأزمة التي كان يسعى إليها..

يا ترى هل كان أولاده معهم يضحون في سبيل الحرية والمساواة ؟..

☆ ☆ ☆

الطُعُم هو المكون الرئيسي في السياسة.. تريد أن تحارب ؟ سيهيئون لك مستلزمات القتال، ويقدمون لك المغريات من غير أن تشعر، حتى تغضب وتحارب وتفوز، وتغتر بفوزك فتندفع أكثر، وينضم لك أمثالك، وتتجمعون وتتكاثرون حتى تصبحوا صيداً دسماً سهلاً، ثم يقضون عليكم، وتُمحى أنت ومن معك عن وجه الخليقة..

وهذا ما حدث في حرب الشوارع ضد القوات الأمريكية في العراق بعد عام ٢٠٠٣، والمظاهرات التي حدثت في غرب وشمال العراق عام ٢٠١٣

وعند دخول "تنظيم داعش" للعراق عام ٢٠١٤، ومظاهرات تشرين في بغداد وجنوب العراق عام ٢٠١٩

كل هؤلاء رمي لهم طعم النصر من البداية فبدؤوا يتجمعون ويتكاثرون، ويهيئ لهم أنهم قد أحرزوا النصر الأكيد، ثم تمت إبادتهم..

الأمر كله خداع وتغرير بالشباب والأولاد... وهذا حال أغلب الحروب والمظاهرات في العالم...

لا يوجد في السياسة أي شيء على حقيقته، فكل ما فيها مقصود به شيء آخر يُغلف بغير مادته.. وحتى لو كان خيراً فإنه يحتاج للكذب ، لأن الجماهير لن ترضى به على حقيقته..

يحكي أدولف هتلر في كتابه الشهير "كفاحي" حاله في بداية تأسيس حزبه، وبعض الدراما المفتعلة لتهييج مشاعر الأنصار فيقول:

"اما الأحزاب البورجوازية فقد كانت تعهد بمهمة حماية الاجتماعات إلى رجال ضعاف قاربوا عتبة الشيخوخة ، آملين أن يحترم المشاغبون شيبتهم ويتهيبوا وقارهم ، وقد فاتهم أن عدوهم لا يقيم وزناً لهذه الاعتبارات.. لقد جندنا بوليس الاجتماعات من الرجال الأشاوس والجنود المسرّحين ، وقد اخترتهم من الشباب المفتولين السواعد ، وحرصت على إفهامهم قبل أن يقسموا اليمين ، أن القضية التي تجندوا للدفاع عنها هي قضية نبيلة تستحق أغلى التضحيات.. وأن الإرهاب لا يسحقه إلا الإرهاب.. وأن فكرتنا لن تنتشر ما لم تدعمها القوة وتوفر لها الحماية اللازمة.. ولن أنسى ما حييت كيف كان رجال الحرس ينقضون على خصومهم ، غير حافلين بالأخطار وبالتفوق العددي لخصومهم.. كانت مهمتهم حماية الحركة وإزالة كل عقبة تعترضها"

ويضـــيف هتلر.. *"أنهم كانوا يختلقون المشـــاكل والضـــرب والشـــجار بعد انتهاء الخطاب في مقر ندوة الحزب.. لان الجماهير تحب العنف ، تحب القوة ، تحب ما يثير حماسها"*

☆ ☆ ☆

يقوم الصـيادون باصـطياد فيل ضـخم حي صـعب المراس، وللقيام بترويضـه يستعملون حيلة خبيثة.. فيحفرون في طريق مسيره حفرة عميقة بحجم الفيل ويغطونها، وعندما يسقط الفيل المسكين فيها لا يســتطيع الخروج، كما أنهم لا يجرؤون على إخراجه كي لا يبطش بهم، فيلجؤون إلى الحيلة التالية..

ينقسم الصـيادون إلى قسـمين، قسـم بلباس أحمر وقسـم آخر بلباس أزرق، وذلك لكي يميز الفيل بين اللونين..

يأتي الصـيادون باللون الأحمر ويضـربونه بالعصـي ويعذبونه وهو غاضب لا يستطيع الحراك.. ثم يأتي الصيادون الزرق فيطردون الصـــيادون الحمر ويربتون على ظهره ويمســـحون على رأس الفيل، ويحضرون له الطعام والماء ولكن لا يخرجوه.. وتتكرر هذه العملية..

وفي كل مرة يزيد الصـــياد الأحمر الخبيث من الضـــرب والعذاب، ويأتي الصـــياد الأزرق الطيب ليطرد الخبيث ويطعم الفيل ويمضـي.. حتى يشـعر الفيل بمودة كبيرة مع الصـياد الطيب، وينتظره في كل يوم ليخلصه من الصياد الخبيث..

وفي يوم من الأيام يقوم الطيب بمساعدة الفيل الضخم ويخرجه من الحفرة، والفيل بكامل الخضـــوع والإذعان والود مع هذا الصـــياد الأزرق الطيب، لما خزن في ذاكرته مسبقاً، فيمضـي معه.. ولا يخطر في بال الفيل أن هذا الطيب بما أنه يســـتطيع إخراجه، فلماذا تركه كلّ هذا الوقت يتعرض للتعذيب ولم ينقذه من البداية ؟.. ولماذا اكتفى بطرد الأشرار وحسب ؟ . . . هكذا يتم ترويض الشعوب ، ثم تقوم الشعوب بشكرهم ، وهم في الأصل سبب كل هذا الألم والبلاء..

ثم ضع في حساباتك أن صانعو الأمور السياسية يفعلون ذلك بدراســـة دقيقة ومنظمة جداً . . . اقرأ معي هذه المقتطفات الثلاث للكاتب "غوستاف لو بون" قام بتأليفها سنة ١٨٩٥ ...

☆ ☆ *"الجماهير مجنونة بطبيعتها.. فالجماهير التي تصفق بحماسة شديدة لمطربها المفضل، أو لفريق كرة القدم الذي تؤيده، تعيش لحظة هلوس وجنون.. والجماهير التي تصطف على جانبي الطريق ساعات وساعات لكي تشهد من بعيد مرور شخصية مشهورة أو زعيم كبير للحظات خاطفة هي مجنونة.. والجماهير المهتاجة التي تهجم على شخص لكي تذبحه دون أن تتأكد أنه المذنب هي مجنونة أيضاً، فإذا ما أحبت الجماهير ديناً ما، أو رجلاً ما، تبعته حتى الموت..*

والجماهير تحرق اليوم ما كانت قد عبدته بالأمس، وتغير أفكارها كما تغير قمصـــانها. وهذه الأعمال المتطرفة التي تقوم بها الجماهير ما هي إلا ضـــرب من أعمال الجنون التي تغذي المشاعر الغامضة، وتكشف عن الجانب السري والمظلم من الطبيعة البشرية"..

☆ ☆ *"فكل هذه الوسائل المستخدمة من قبل الأجهزة الحزبية والقادة السياسيين الذين يظهرون على شاشة التلفزيون، ترتكز على استراتيجية واحدة هي: الإيمان بلا عقلانية الجماهير ضمنياً ثم التظاهر في نفس الوقت بأنها عقلانية ومنطقية..*

لهذا السبب يقال بأن كل زعيم سياسي يظهر على شاشة التلفزيون، يضع مسبقاً قناعاً على وجهه لكي يقول ما يدغدغ عواطف الجماهير، لا ما يعتقد عميقاً بالفعل"..

☆ ☆ "نجد أن رجالات الدولة الكبار في كل العصور وفي كل البلدان بما فيها الأكثر استبداداً، قد اعتبروا الخيال الشعبي بمثابة أكثر دعم لسلطتهم، فهم لم يحاولوا أبداً أن يحكموا ضده..

قال نابليون بهذا الصدد الكلام العميق التالي في مجلس الدولة الفرنسي: لم استطع انهاء "حرب الفاندي" إلا بعد ان تظاهرت بأني كاثوليكي حقيقي .. و لم استطع الاستقرار في مصر إلا بعد أن تظاهرت بأني مسلم تقي .. وبعد أن تظاهرت بأني بابوي متطرف استطعت أن اكسب ثقة الكهنة في ايطاليا .. ولو أنه اتيح لي أن أحكم شعباً من اليهود لأعدت من جديد معبد سليمان..

ربما لم يفهم أي رجل كبير في العالم منذ الاسكندر المقدوني والقيصر، كيف ينبغي جذب الجماهير والتأثير على مخيلتها مثلما فهم نابليون، فقد كان همه الأول والدائم الضرب على وترها وادهاشها، وكأنه يفكر فيها أثناء انتصاراته، وفي خطبه وخطاباته، وفي كل حالاته، وحتى على فراش الموت كان يفكر في الجماهير و مخيلتها"..

السـياسـيون يعلمون جيداً ان الكذب هو سـلاحهم الوحيد، ويعلمون أن الحقيقة هي عدوة الجماهير الأولى...

جاء رجل إلى محل دجاج ومعه دجاجة مذبوحة، يريد إزالة ريشـها وتنظيفها وتقطيعها، فطلب منه صـاحب المحل تركها والعودة بعد ساعة لأخذها. مرّ قاضـي المدينة على صـاحب محل الدجاج وقال له: أعطني دجاجة.. فأجابه: ليس عندي إلا هذه الدجاجة وهي لرجل سـيرجع لأخذها بعد قليل. فقال القاضـي: أعطني إياها ْ وإذا جاء صـاحبها قل له إن الدجاجة طارت، فإن اعترض دعه يشـتكي ولا يهمك. ثم أخذ القاضي الدجاجة وذهب..

عاد صـاحب الدجاجة كي يأخذ دجاجته فأخبره صـاحب المحل بأنها طارت. فغضـب وقال: هل أنت مجنون ؟ لقد أحضـرتها وهي مذبوحةٌ فكيف تطير وهي ميتة؟ هيا نذهب للقاضـي ليحكم بينا.. وأثناء ذهابهم للقاضـي مروا بمسـلم ويهودي يقتتلان. فأراد صـاحب محل الدجاج أن يفصل بينهما لكن إصبعه دخلت في عين اليهودي ففقأتها..

تجمع الناس وأمسـكوا بصـاحب محل الدجاج وجروه إلى عند القاضي. وعندما اقتربوا من المحكمة أفلت منهم وهرب ودخل مسجداً، وصـعد فوق المنارة فلحقوا به، فقفز من فوق المنارة ووقع على رجل كبير في السن، فمات الرجلُ..

جاء ابن الرجل ولحق هو وباقي الناس بصـاحب محل الدجاج وأمسكوه وذهبوا به إلى القاضي..

فلما رآه القاضـي تذكر حادثة الدجاجة وضـحك، وهو لا يدري أن عليه ثلاث قضـايا.. سـرقة الدجاجة ، وفقء عين اليهودي ، وقتل الرجل المسن..

عندما علم القاضـي بالقضـايا الثلاث أمسـك رأسـه بيده وجلس يفكر، ثم قال: دعونا نأخذ هذه القضـايا واحدة واحدة.. نادوا أولاً على صاحب الدجاجة..

قال صـاحب الدجاجة: هذا سـرق دجاجتي وقد أعطيته إياها وهي مذبوحة ويقول أنها طارت، كيف يحدث هذا يا سـيادة القاضـي ؟ قال القاضـي: هل تؤمن بالله ؟ قال: نعم ، قال القاضـي: إن الله يحيي العظام وهي رميم .. قم فما لك شـيء عند الرجل.. احضـروا المدعي الثاني..

جاء اليهودي وقال: هذا الرجل فقأ عيني.. فقال القاضـي لليهودي: العين بالعين والسـن بالسـن ، لكن دية المسـلم لأهل الذمة النصـف.. يعني نفقأ عينك الثانية حتى تفقأ عين واحدة للمسـلم.. فقال اليهودي: لا لا، أنا أتنازل عن الادعاء عليه.. فقال القاضـي: أعطونا القضية الثالثة..

جاء ابن الرجل المسـن الذي توفي وقال: هذا الرجل قفز على والدي من فوق منارة المسجد وقتله. فقال القاضـي: اذهبوا بالمتهم إلى نفس المكان، واصعد أنت فوق المنارة واقفز عليه. فقال الشاب: لكن يا حضـرة القاضـي إذا ما تحرك الرجل يميناً أو يسـاراً يمكن أن أموت أنا.. قال القاضي: والله هذه ليست مشكلتي، لماذا لم يتحرك والدك يميناً او يساراً ؟..

فقال الشاب: لا، لا أريد شيئاً منه، وأتنازل عن الادعاء عليه.. وهكذا حل القاضـي جرائم القتل وفقئ العين والسرقة بمَكره، وكل هذا ثمنه دجاجة واحدة..

هذا مثال واقعي لرجال السـياسـة.. كل قرار وتشـريع جديد وقانون يرتبونه على هواهم، ويفصـلونه على مقاسـهم كما يفعل الخياط..

الأمور عندهم كورقة بيضـاء يخطّ عليها ما يريد ، ويشـطب منها ما يريد ، أو يصـنع من هذه الورقة ما يحب ، مثلما كنا أثناء الدرس ونحن صغار، صاروخ ورقي ، سفينة ، قبعة ، ضفدع ، نفس الورقة البيضاء سيعيد رجل السياسة تشكيلها أكثر من مرة.. ويستطيع إقناع الجميع بما لا يؤمن به هو في قرارة نفسه..

وأفضل مثال لهراء السياسة وقذارتها هو معرفة تاريخ أمريكا الحقيقي، ومن هم الامريكيين الأصـــليين، وكيف تعامل الضـــيف مع صاحب الدار !..

تخبرنـا وســـائل الإعلام عن القيم الأميركيـة ونبذها للعنف والكراهية والتعصـــب، وتذكر هذا الأمر بكثير من التفاني والتعظيم، وكأن هذه الدولة هي الراعي الرســـمي للحرية والمســـاواة وحقوق الإنســـان للعالم أجمع. تتبنى الولايات المتحدة هذه القيم من منطلق تفوقها العالمي..

جاءت تسـمية الهنود الحمر بطريقة عشـوائية تماماً، ففي عام ١٤٩٢ خرج كريستوفر كولومبس من إسبانيا متجهاً إلى الهند في قارة آسيا، لكنه ضلّ الطريق واستقر مقامه في أميركا الوسطى. هناك قابل كولومبس السـكان الأصـليين، لكنه لم يكن يعرف أنه كان تائهاً فأطلق عليهم لفظ "الهنود" معتقداً أنه في آســيا، وأن هؤلاء هم ســكان الهند بالفعل، ثم لم يمضِ وقت طويل حتى أدرك أنه ليس في الهند وإنما في أرض جديدة. لكن التسمية استمرت كما هي مع إضـافة كلمة "الحمر" للهنود لميل بشرتهم إلى الحمرة..

وهكذا قدم الرجال البيض (الضـــيف) إلى أراضـــي الهنود الأصـــليين ليتم اســتثمار هذه الأرض بموافقة أصـــحابها أو بدونه. بدأ الزحف الأمريكي الأبيض. وبدأ الاستثمار والاستعمار..

بُنيت أمريكا على دماء وعظام وأراضـــي وأملاك القتيل والمعذب من الهنود الحمر (سكان أمريكا الأصليين).. وحتى يومنا هذا لا تزال المطبوعات الأمريكية تحاول إيهام الجميع بأن الفضـــل في إعمار أمريكا يعود إلى المستوطنين البيض..

لكن الواقع أن أغلب الأراضـــي كانت تســتثمر من قبل الهنود الحمر أنفســـهم حتى قبل قدوم البيض، أما البيض فقد قاموا بدور المحتلين واللصـــوص وقطاع الطرق، الذين بنوا رفاهيتهم على دماء ومعاناة عشرات ومئات الملايين من الهنود الحمر والعبيد..

استخدم الأمريكان الجدد أحط الوسائل وأخس السبل للقضاء على الهنود الحمر، ومنها تسميم آبار المياه التي يشرب منها السكان، وكذلك اســتخدام الجراثيم، فقد كان المُســتخرِب الأبيض يعقد بين حين وآخر معاهدات سلام بينه وبين الهنود الحمر، ويهديهم أغطية صوفية (بطّانيات) كانت ملطخة بجراثيم الجدري والطاعون والحصـــبة والكوليرا والدفتيريا والسل..

ويقول بعض المؤرخين أن الحروب التقليدية التي شنها البيض ضد الهنود الحمر قضت على عشرين بالمئة منهم فقط، بينما قضت الحرب البيولوجية على ثمانين بالمئة. إضـــافة إلى الخطف وتعذيب النساء والأطفال. بل إن جماعات وشعوب من الهنود الحمر وصلتها الأوبئة وأبيدت حتى قبل أن ترى وجه الإنسان الأمريكي الأبيض..

وفي عام ١٦٣٦ تظهر أول وثيقة تثبت استخدام الأمريكان للسلاح الجرثومي عمداً، وقد كتب القائد الإنجليزي اللورد جفري أمهرست إلى هنري بواكيه يطلب منه أن يجري مفاوضات مع الهنود ويقدم لهم أغطية مسمومة بالجدري. فأجابه بواكيه: *"سأحاول جاهداً أن أسممهم ببعض الأغطية الملوثة التي سأهديهم إياها، وسآخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا أصاب بالمرض"*..

وهناك وثيقة أخرى تتحدث عن إهداء أغطية مسمومة بالجدري لهنود "المندان" في فورك كلارك، وقد نقلت هذه الأغطية مرض الجدري إلى ضحاياها من موقع عسكري في سان لويس على متن قارب اسمه "القديس بطرس"، فحصدت كذلك في أقل من سنة واحدة مئة ألف طفل وشيخ وامرأة وشاب..

وبعد حوالي خمسة عشر عام كانت كلّ الولايات المتحدة تتساءل عن أفضل وسيلة للقضاء على هنود كاليفورنيا.. فمع الاستيلاء على هذه الولاية الواسعة من المكسيك وجدت أمريكا نفسها أمام مهمة جديدة وصفتها إحدى صحف سان فرانسيسكو كما يلي

"إن الهنود هنا جاهزون للذبح وللقتل، بالبنادق أو بالجدري، وهذا ما يتم الآن فعلاً"

وفي حملة ١٧٧٦ على هنود الشيروكي تم إحراق المدن الهندية وأتلفت المحاصيل الزراعية، ومن بقي من هنود الشيروكي هُجّروا إلى الغابات ليُقتلوا هناك..

ولم تمض ثلاث سنوات حتى أصدر جورج واشنطن أوامره للجنود بأن يحيلوا مساكن هنود الأوروكو إلى خراب ومحوها من على وجه الأرض. ولذلك أطلق هنود السينيكا على أبي الجمهورية الأمريكية "جورج واشنطن" اسم "هدام المدن".. فبموجب أوامره تم تدمير ٢٨ من أصل ٣٠ مدينة كاملة لهنود السينيكا وحدهم، من البحيرات الكبرى شمالاً وحتى نهر الموهوك، وفي فترة قياسية لا تزيد عن خمس سنوات، وهذا ما تم أيضاً بمدن اخرى..

حتى أن أحد زعماء الأروكوا قال عن جورج واشنطن *"عندما يُذكر اسمه تلتفت نساؤنا وراءهن مذعورات وتشحب وجوههن.. أما أطفالنا فإنهم يتلببون بأعناق أمهاتهم من الخوف"*..

ومضى الآباء المؤسسون جميعاً على خطى "جورج واشنطن" فحتى "توماس جيفرسون" الملقب برسول الحرية الأمريكية وكاتب وثيقة استقلالها، أمر وزير دفاعه بأن يواجه الهنود الذين يواجهون التوسع الأمريكي بالبلطة.. وأن لا يضع هذه البلطة حتى يفنيهم فقال له: *"نعم. إنهم قد يقتلون أفراداً منّا ولكننا سنفنيهم، ونمحو آثارهم من الأرض"*..

وفي عام ١٨٣٠ سنّ الكونجرس الأمريكي قانون ترحيل الهنود قسراً، وأصبح من حق المستعمر الأمريكي أن يطرد الهندي من أرضه ويقتله إذا أراد.. ويومها حصدت قوات الجيش النظامي الأمريكي من لم يمت من الشعوب الهندية، بعد تهجيرهم قسراً إلى مناطق موبوءة بالكوليرا..

بعد تلك الفترة، ونظراً لحاجة الأمريكان للأيدي العاملة بنظام السخرة، لاستغلال الثروات التي ورثوها عن الهنود. عدلوا عن جزء من استراتيجيتهم في القتل، بالإبادة عن طريق نظام تجارة العبيد.. ففي عام ١٨٤٦ احتلت جيوش الأمريكان كاليفورنيا، وتقول الإحصائيات أنهم تمكنوا من إبادة ثمانون بالمئة من هنود كاليفورنيا بالسخرة وتجارة العبيد، حيث نشط بجانب ذلك التجارة بالأطفال والنساء..

ومنذ لحظة قدوم الأوروبيين، بدأت أعداد الهنود الحمر تتناقص بسرعة خيالية بسبب الحروب والمجازر الجماعية والمجاعات والأوبئة.. حتى وصلت إلى أقل من مئتان وأربعون ألف هندي أحمر فقط مع انتهاء الحرب الأميركية الهندية في القرن التاسع عشر..

مما يعني أن القوات الأوروبية ذبحت أكثر من ٩٥% من السكان الأصليين على الأقل.. ما يُعرف بالولايات المتحدة الأميركية اليوم.. رغم أن بعض الباحثين يرون أن مجموع أرقام القتلى الحقيقية في الأميركتين، قد يصل إلى ثلاثمئة مليون قتيل..

ووصل الأمر إلى تباهي الأمريكان بهذه الوحشية. فها هو وليم برادفورد حاكم مستعمرة بليتموت يقول:

"إن نشر هذه الأوبئة بين الهنود عمل يدخل السرور والبهجة على قلب الله. ويفرحه أن تزور هؤلاء الهنود وأنت تحمل إليهم الأمراض والموت.. وهكذا يموت ٩٥٠ هندي من كل ألف، وينتن بعضهم فوق الأرض دون أن يجد من يدفنه.. إنه على المؤمنين أن يشكروا الله على فضله هذا ونعمته"..

☆ ☆ ☆

هذه هي السياسة ، لا تقترب ، ولا تحشر أنفك ، ولا تدنُ بوجهك لتنظر ، لأنك ستصاب برصاصة الظربان..

كن ذلك الرجل النبيه . . . فكما ترى ..

السياسة أكثر فُحشاً من مؤخرة الظربان ، وأشد قبحاً مما يخرج منها ، أشد قبحاً وأقل نفعاً ..

على الأقل مؤخرة الظربان فيها فائدة لصاحبها ، تدافع عنه وتحميه ...

من السياسة ترك السياسة ...

محمد ناصر الدين الألباني

نظرية المعين ...

في محل ولادتي وطفولتي "المجمع السكني في مصفى الدورة" كان معنا في الصف الخامس الابتدائي ولد أسمر ضعيف، يشبه الطفل الذي خرج فجأة لعائلة آرنست عندما كانت فلونة تراقب حديقة البطاطا في الجزيرة.. كان صاحبنا في الصف ضعيف البُنية، ومن شدة نحافته لو ألبسناه ملابس فضفاضة لن تستطيع تمييزه عن فزاعة الحقل التي تخيف الطيور..

كانت معلمتنا في الصف الخامس الابتدائي تجعله يقف على السبورة، وينزع قميصه لتشرح لنا موضوع القفص الصدري، لأن أضلاعه بارزة جداً ..

ما يميز هذا الولد أنه شجاع ولا يخاف مهما كان حجم الشخص الذي يقف أمامه..

بعد أن أنهينا الصف السادس الابتدائي انتقلنا إلى المدرسة الثانوية في منطقة "جمعية خير الله".. هناك تسكن بعض العوائل النافذة في الحكم في زمن صدام، منهم كبار السن لا يهتمون عندما نمر أمامهم ولا يبالون بنا ، نمرُّ كما تمر النملة..

أما الصغار فقد كانوا يغمزون ويسبّون ويتشاجرون، ولا أعتقد أن كلمة شجار هي المفردة الصحيحة لأنهم هم فقط من كان يضرب، والوحيد بيننا الذي يتصدى لهم هو بطلنا العصفور المبلل ، ينفخ صدره، ويتجاسر قليلاً ، أو يتعصب ويحاول أن يضرب ، فيقترب منه أحد الصبيان ويمد يده خلف ظهره ويسحب سلاحاً حقيقياً، ويضرب صاحبنا بنهايته من جهة المقبض ويشج رأسه، فتسيل الدماء على ملابسه، ومع ذلك لا يخاف ويتشاجر مرة أخرى..

حقاً لديه قلب شجاع ، ولكن جسده يخذله ..

☆ ☆ ☆

في الكلية التقنية في كركوك، كنت أنا وأحمد وعلي ملك ورافد ومنتظر، وعلي آخر لا أتذكر اسم والده.. شلة من الكسالى، نجلس في المقاعد الأخيرة، ننتظر الامتحان لنقرأ، نضحك كثيراً عندما نفكر في حل اللغز، لغز مادة الفصل الدراسي، ومتواجدون في الكافتيريا نأكل ونتحدث بأي موضوع غير الدراسة..

عندما وصلنا للمرحلة الرابعة حان وقت مشروع التخرج، كان وقع المشروع كالصاعقة بالنسبة لنا، كأنه طُلب منا اختراع القنبلة الالكترومغناطيسية..

توجب علينا أن نصنع بعض الأجهزة الكهربائية ونقوم بالتحكم بها عن طريق الحاســـوب.. ومقارنة مع ما تحتويه ادمغتنا وما تم تخزينه خلال السنوات الأربع، فلن يكتمل المشروع ولا جزء منه، ولو جلسنا نقرأ ونقرأ وألحقنا ليلنا بنهارنا،

إلا أن أحد أفراد مجموعتنا اعترض وطلب أن نكمل المشروع ولا نقلل من قيمة أنفسنا..

حاولت ثنيه عن هذه الهمة العالية، وأخبرته أن مثل هذه المشاريع تُصنع في اليابان والدول الأكثر تطوراً في ذلك الوقت ، لكنه أجابني بالحرف الواحد *"وهل اليابان وغيرها أفضل منا ! متى يتطور البلد ؟ اذا جلسنا انا وانت مكتوفي الأيدي فمن ينهض بواقع بلدنا ؟"* ....

في الحقيقة لم أستطع الرد عليه لأنه كان محقاً حقاً... ربما !..

المهم . . . لقد حالفنا الحظ ، تمّ الإنقاذ ، حيث قام الأســـتاذ المشرف على المشروع بتغييره..

المشــروع الجديد عبارة عن مصــباح يتم تشــغيله عن طريق بطارية جافة .. شـــرط أن يمر التيار خلال دائرة "انفرتر" (لم أعلم فائدتها إلا بعد التخرج) لأننا لو ربطنا البطارية بالمصـــباح مباشـــرة بدون هذه الدائرة المعقدة سيعمل بكل بساطة، ومع هذا الطرح السهل والميسر لنا ومساعدة الأستاذ المشرف ، لم نستطع إكمال المشروع...

لازلت ليومنا هذا أتذكر كلمات صـــديقي منتظر وحماســـه ورغبته في جلب الخير والنفع لبلده..

ولكن ، هل هذه الحماسة كافية ؟ هل المشاعر تقدم شيئاً ؟ كما يقول المثل العراقي الشهير "لنحسبها حساب عرب".... نعم ؛ لنحسبها حساب عرب..

عندما كان يغضـــب صـــديقنا ماذا كانت النتيجة ؟ بدل تحمل كلمة جارحة ، سوف يتحمل الكلمة ومعها الضرب..

أما عن صـــديقي الذي يتمنى تطوير بلده ، فيمكنك أن تتخيل كيف سيكون حال بلدنا الطيب إذا أصبح حاضره ومستقبله بين يدي "مجموعة الكسالى الرائعون" ؟..

هل تعلم ما الخطأ الذي أَقْدَمَ عليه كل من هؤلاء ، وكثير من أمثالهم ، إنه يمد رجله أطول من غطائه.. لذلك على كل شـــخص أن يعرف مستواه ، ويعرف حجمه أمام المشكلة التي يتعامل معها..

إليك هذه النظرية البسيطة، سأسميها على شكلها "نظرية المعين".. لو قمنا بتقسيم هذا المعين إلى ثلاثة أقسام واعتبرنا كلّ قسم يمثل مستوى لمجموعة من الناس، كلّ قسم يمثل مستوى الشخص وحجمه أمام المشكلة التي سيتعامل معها، المستوى والحجم الذي يحدده بنفسه، فكل شخص أعلم بحاله..

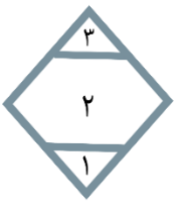

في المرحلة رقم (١) هذه فئة ميؤوس منها، لن تقدم أي فائدة، ولن تستطيع مواجهة المشكلة أو الوقوف بوجهها، وهم يمثلون ١٠% من المجتمع..

في المرحلة رقم (٢) هذا مكان الجميع، الأغلبية، الأتباع، الواهمون، وأنا وأنت أيضاً.. وهم يمثلون نسبة ٨٠% من المجتمع..

أما المرحلة رقم (٣) هذا مقام الصفوة، القلة الغير مرئية، غير مرئية في كل مشكلة، مع أنهم يمتلكون قافلة حلول وليس حلاً واحداً، إلا أنك لن تجدهم أو تلتقي بهم أبداً.. إنهم لا يتواجدون حيث يتجمهر الناس. هؤلاء يمثلون ١٠% من المجتمع فقط، أو أقل..

الآن .. عليك أن تعرف مكانك في هذه المستويات الثلاثة، وحسب الأمر الذي تتعامل معه. فمثلاً أنت جيد في الفيزياء ستكون في مستوى الصفوة عند وجود مشكلة فيزيائية، أما عند التعامل مع مشكلة في مجال الطب ستكون في مستوى الكسالى..

وهكذا في كلّ مشكلة عليك أن تعرف مستواك وقدرك أمامها ولا تتجاوزه..

بعد هذه المعلومة البسيطة، إذا عرفت مكانك سترتاح وتريح من حولك. فمثلاً..

إذا نهضت صباحاً وأحسست بشيء يدغدغ عقلك ويدفعك للتغيير، وترك كلمة موافق، وحاضر، والتنازل للآخرين، وقررت أن تكون شجاعاً شرساً لا تخاف، وشخصية يقف لها الجميع إجلالاً وتعظيما.. فتأخذ بأسباب القيادة وترتب مظهرك، شعرك، ملابسك، تلمع حذاءك، تعصر حاجبيك قليلاً، تعدل ظهرك، ترفع رأسك، تنظر للأمام، ولا تضحك إنما تكتفي بالابتسامة..

نعم.. هذا جيد.. لكن عليك أن تنتبه وتعرف حجمك أمام من ستواجه، فلا تذهب للمدير العام ومالك الشركة وأنت متشنج بهذا الشكل، وتبدأ التمثيل، وكذلك لا تذهب لعامل الخدمة والنظافة وتتصنع الرفعة، أو تفعل هذا أمام الطيبين، احذر، فلن تزداد إلا دناءة..

ان أردت أن تصـــنع شـــيئاً جديداً، أو تنشـــر كتاباً، أو تفتح مشـروع، يجب أن تعرف مسـتواك في "نظرية المعين"، وتتخذ القرار وأنت داخل مجال استطاعتك.. لا تتجاوزه إلى الأعلى فتفشل وتخسر، ولا تُنزل نفسك للأدنى فيضيع قدرك وما يميزك..

وكذلك عند حدوث مشـكلة مع الشـريك أو الصـديق أو زميل العمل، عليك أن تضـــعه داخل "نظرية المعين" وتعرف إذا كان طيباً ويسـتحق أن نضـعه في مسـتوى التسـامح والتغافل، وتحمل الهفوات والزلات عند التعامل معه.. أم انه ســيىء يجب أن نتبع معه أســلوب التعامل بالمثل والنزول لمستواه..

تريد الســـفر والانضـــمام لنادي كرة قدم عالمي وأنت بالكاد تستطيع تثبيت الكرة على قدمك، تريد أن تنافس الأبطال وتحلم بالشهرة والعقود الكبيرة والمليارات وجزيرة ويخت خاص بك. ضـع نفسـك في هذا المعين واعرف مستواك.. ليكون حلمك بحجم مهارتك ونشاطك..

وكل أمر صـــغير وكبير في حياتك، وكل ما تكلمنا به في هذا الكتاب يمكنك وضعه هنا.. وسط هذا المعين ومعرفة مستواه، ثم اختر ما يناسبه من الحلول، حتى لا تنزل أقل من مسـتواك فيضـيع ما تتميز به وتفقد قيمتك، ولا تمد رجلك أطول من غطاءك فتخسر مرتين...

رحم الله امرئ
عرف قدر نفسه ..

كيف يفعل هذا ؟؟...

تظن في داخلك أن زوجتك أغلى من البنات اللاتي تلتقي بهن يومياً، وإخوتك أغلى من أصدقائك، ووالدك أفضل من جارك العجوز، وأولادك أفضل من الأطفال الذين تصادفهم في الباص..

الأمر ليس كذلك ! لو انتبهت إلى طريقة التعامل مع هؤلاء وهؤلاء، لوجدت أنك غير عادل أبداً. ولو عاملت أفراد عائلتك كما تعامل الغرباء والجيران لكنت قدمت لهم فضلاً كبيراً وأسعدتهم.. وقسْ على هذا الكلام لو أنك قلت لزوجتك نفس الكلام الذي مرّ ببالك عندما رأيت تلك المليحة في الشـــارع، لو أنك احتفظت بهذه المفردات المعســـولة وعطّرت بها أم أطفالك وســـندك الوحيد، وممرضـــتك وصندوق أسرارك، لأسعدتها وغمرتها فرحاً..

لو أنك عاملت أولادك كما تعامل الصـــبي الذي جاء مع أمه لمكان عملك، ولو تلطفت بالكلام مع والديك كما تفعل مع جارك الذي تحترمه، لرفع والديك رأسيهما فخراً بك..

☆☆ عندما تشتري بيت ستظن أنك وصلت ونجحت وحققت، كلا ! لقد انتهى حلم، انتهى الشـــغف، انتهى دافع لجمع المال.. وبعدها لن تحصـــل على شـــيء ولن يكون هناك ما يشـــجعك ويشـــد على يدك لتواصل..

لا تظن أنك بشـراء بيت أو حصـولك على عمل سـوف ترتاح لأنك ضمنت شيئاً، العكس هو الصحيح.. عندما تضمن وتطمئن سوف تفقد الدافع للحصـــول على الأشـــياء.. عندما ترتاح ســـتبقى فقيراً لعدم وجود دافع يســـحبك للكنز الذي يجب أن تبحث عنه، أما عندما تفتقر للمال وتحتاج للاســـتثمار، ســـتجتهد وتتعب وتحصـــل على أكثر مما تتمنى..

لن ينفعك الاكتفاء، لن ينفعك منزل واحد ودخل واحد، لابدّ من وجود اثنين دائماً، لا بدّ من وجود البديل.. اصنعْ طريقين لتسلك الآخر عندما يضيق أحدهما.. إذا امتلكت سعر منزل فاسكن بالإيجار واستثمر أموالك في العقار لتحصل على منزل آخر وآخر..

الاكتفاء خطأ فظيع يأخذك للفقر.. بدل البيت لابدّ من وجود بيت ثانٍ للربح والاســـتثمار.. لأن فائدة البيت الواحد أن تعيش داخله فقيراً للأبد.. ومهمة الوظيفة الواحدة أن تعمل ليل نهار، ولا يُسـمح لك أن تشـــتكي أو تطالب بحقك لئلا تُطرد.. لأن فائدة الدخل الواحد أن تتجرع الذل ولا تمل..

☆☆ تسمع وتقرأ مالا يحصى من كلمات وأقوال المشاهير في اعتزال الناس، هذه بعض منها..

•• لكي يسترجع الإنسان عافية مزاجه، لابدّ له من إجازة يعتزل فيها البشر لمدة ستة أشهر، مرتين في السنة على الأقل..

•• جرب أن تظل وحيداً لفترة طويلة، ستجد أن البشر بلا أي فائدة حقيقية، سوى إنهاكك في تفاهات سطحية لمشاكلهم النفسية طوال حياتك..

•• على المرء عندما يبلغ عمراً معيناً أن يغير اسمه ويلجأ إلى مكان لا يعرف فيه أحداً، وهناك يعيش حياة هادئة، حياة شرير مُنهك..

•• حاجتي لأن أكون وحيداً هي من أبقتني عاقلًا..

•• هناك من لا يستطيع أن يلهو إلا وهو مع القطيع.. البطل الحقيقي يلهو وحيداً..

أما في الحقيقة والواقع والعقل، فإن اعتزال الناس والأصدقاء خطأ عظيم، يدمر حياتك من كلّ الجوانب، يجعلك لا تستطيع التكلم أو إجراء محادثة بسيطة مع شخص، أو أن مجرد الاختلاط بهم يكون تحدي كبير بالنسبة لك..

عندما تكون وحدك يستمر حزنك طويلاً، أما مع الناس فكلمة من هنا وضحكة من هنا ولا تدري إلا وقد نسيت الحزن ونسيت سببه..

عندما تعتزل الناس يصبح مزاجك عصبي لا تطاق.. لن تتعلم الكلام ولا الحوار، لن يتطور لا عقلك ولا تصرفاتك.. حتى الأشياء الصغيرة مثل طريقة تناولك للطعام، أو طريقة مشيك واختلاطك بالناس، اختيار ملابسك.. كلّ هذه الأشياء تصبح عوجاء يشوبها نقص كبير..

وأعظم ما تخسره عند اعتزال الناس والأصدقاء هو النصيحة، فهذه النفس تحبُّ كلّ شر، تحب الحزن، تحب اعتزال الناس، تحب المغامرة التي فيها خطر، تحب التبذير الذي يجعلك في النهاية فقيراً، فإذا رأيت نفسك تحب شيئاً، فاعلم أنه اختيار خاطئ..

النفس البشرية عنيدة في تقبل النصيحة، عنيدة في الابتعاد عن الشر، فقم بتربيتها واخلطها مع الأصدقاء الطيبين لتألف الواقع وتمتزج به، وتستمع لنصائحهم وتنتفع بها.. وتحمّل بعض الأذى من الأصدقاء خير من تحمّل شرها العظيم..

وإياك أن تعتزل الناس فتصبح عصبي، حزين، مكتئب، أحمق حتى في شكلك وملابسك وكلامك، وكلّ ما فيك يدل على أنك من عالم آخر..

☆☆ الكلُّ يقول لك كنْ ناجحاً تعش سعيداً، كن ذكياً لتحيا بسرور. ونحن نرى الكثير من الأغبياء يعيشون أسعد الناس، وبالمقابل نجد الكثير من الأذكياء والكتّاب والعباقرة والمخترعين قضوا أوقاتهم وحيدين، وماتوا من الحزن والبؤس والأمراض النفسية..

كما فعل جورج ميليس أشهر صانع أفلام في التاريخ، عندما قام بإحراق أفلامه وخامات أفلامه الأصلية.. وكذلك فعل الفنان الهولندي فينسنت فان جوخ عندما أحرق الكثير من لوحاته، والتي تُباع الواحدة منها هذه الأيام بعشرات ملايين الدولارات..

قرأت يوماً قصة لفتاة تعرضت لحادث وأصيبت على أثره بالجنون، يقول الطبيب المشرف عليها: لو كان الأمر بيدي، لما تمنيت لها الشفاء ! لماذا ؟ لأنها تقضي كلّ وقتها بين المرح والابتسامة، تتخيل أنها أميرة وزوجها من أغنياء بلدتها وكبارهم، تعيش في قصر جميل، أنجبت الكثير من أوسم الأولاد والبنات، لديها خدم وطباخين ومدبرة منزل وخادمة شخصية تعتني بها.. تتخيل حياتها بين الحدائق والزهور، تصحو على صوت العصافير، تغوص قدمها في الرمال وهي تركض على الشاطئ..

☆☆ ليس كل ما تتمناه هو خير لك.. فبعض الأشـياء الجميلة تنكّد عيشـــك، وتقتلع فرحتك بـالأشـــياء التي تعتز بـامتلاكها من جذورها... كمثال بسيط على هذا السفر..

تخيل لو أنك تمتلك منزلاً متواضـــع يكفيك أنت وأولادك الصـغار، وحديقة بسـيطة تحتوي شـجرة واحدة وبعض الزهور.. ثم فكرت في السفر لدول أوروبا، وهناك رأيت البيوت الجميلة، والحدائق الأمامية والخلفية للمنازل، المليئة بأنواع الزهور والأشـــجار، والمناخ الربيعي والشوارع النظيفة، والخدمات في كل مكان حولك، والمدارس ووو.....

هنا بدأت تتذكر حياتك ومنزلك وحديقتك وكل شـيء في بلدك، وتقارنه مع هذا التطور والتنظيم في العمران. ســـتكره ما كنت تتمناه وتعبت سـنين للحصـول عليه، لن تشـعر بالفرح بعد هذه اللحظة، ولن تفتخر بما تمتلكه..

وكل هذا النكد وجحود النعمة سببه السفر، الذي تمنيته وحلمت به. فليس كل ما تتمناه هو خير لك..

☆☆ عندما تظن أنك تحاول التغيير نحو الأفضـــل بتجديد مكانك وعملك وحياتك وأموالك وأفكارك أيضـــاً، اعلم أنك قبل هذه الخطوة (خطوة التغيير) كنت قد وصلت إلى الحياة المثالية ولم يبقَ إلا القليل، وهذه ليسـت المرة الأولى، لأنك كلما تصـل إلى الأفضـل تقوم بتدميره كله. هذه بديهة لدى البشر..

هذه بعض الأفكار، وهكذا تجري الأمور معها، وكثير غيرها.. تظن بالشيء خيراً ثم تكتشف أنك مخطئ.. فلا تُسرف في وضع ثقتك بالأشياء من حولك، فكرة ، قرار ، عمل ، شخص ، شريك ، صديق..

لا تتسرع .. فهناك دائماً شيئاَ سيئاً يختفي داخلها لتكتشفه مع الزمن ، وكلما زادت ثقتك بما يُحيطك ، كانت ضربة الخذلان وصفعة الخيانة أقوى وأشد وقعاً عليك ..

مع الوقت ســـتعرف أن كل ما تقوله اليوم ســـتكذّبه غداً، وما تدافع عنه منذ سنين ستحاربه لنهاية العمر...

عندما يقال لك إن الإلحاح بالكلام وتكرار الجمل تؤتي ثمارها... ويقال إن المشاعر رحمة في الأمور كلها وعليك أن تكون سهلاً ليناً في كل شيء... وتقرأ أن ذروة السعادة في اعتزال الناس والعيش وحيداً... وعندما ترى الحب وأهله ، وأن الحب هو الروح والموسيقا غذاؤه... ويقال إن طبع الإنسان قابل للتغيير... وتسمع أن ترك العمل والانتقال والبدء من جديد هي حياة رائعة تنتظرك بكل مفاجأتها... وأن الشيخوخة مرحلة متعبة يتخللها اليأس والمزاج العصبي والنكد... ويحشون عقلك بأفكار كثيرة لتؤمن بها...

يوما ما ستكتشف الحقيقة الجلية لهذه الأمور ، وللكثير من الأشياء حولك ، عندها ستنظر للخفاش وتسأل:

كيف يفعل هذا ؟ كيف يقف بهذه الطريقة ؟

ستسأل نفسك حائراً: من الذي يقف بالمقلوب، نحن أم الخفاش ؟

وستعلم أن الخفاش من كان يقف بطريقة صائبة كلّ هذا الوقت ...

أتدري لماذا تزقزق

العصافير صباحاً ؟

لأنها لا تذهب إلى العمل ..

١ + ١ = ٢

هل تعلم ما هو الشـــيء الذي لا يفارقنا أبداً أبداً أبداً ؟ أننا نريد.. منذ أن ولدنا ونحن نريد ونريد.. خرجنا من بطون أمهاتنا ونحن نبكي نريد شيئاً ما، نطلب حليب، حضن، أمان، دفء..

نكبر قليلاً نريد حلويات وألعاب ومرح مع الأصـــدقاء، نكبر أكثر وتزداد حاجتنا لملابس وهاتف ومضاعفة المصروف، نريد عمل، مال، سيارة، زواج، سعادة، ومكانة بين الناس.. ثم نشيخ ونبحث عن الصحة وحنان الأهل وعناية الأولاد..

نحن نريد ونريد، ولا نكتفي من هذه الكلمة أبداً.. ولكن ! هل هذا عيب أو مســتحيل ؟ على العكس تماماً.. العيب أن نهجر ما نريد، ونزهد فيما نتمنى، ونظن أن الفوز من المستحيل.. هذا هو العيب..

أن نريد فهذا أجمل ما فينا، ولابدّ أن نحصـــل على ما نرغب ونريد، والأمر أســـهل مما تتوقع، أســـهل حتى من التفكير فيه.. لكن هناك قاعدة واحدة لتحصـــل على كل ما تصـــبو إليه، وتربح كل هذه الامنيات. وهي أن تتبع الخطوات التي توصلك إليه..

أنا عن نفســـي أؤمن بفكرة، وأعتقد أن الجميع معي في هذا الرأي، وهي أن الله قد وضع في كل إنسان أشياء تمكنه من تحقيق أي حلم، والوصـول لأي هدف، وتكوين أي مسـتقبل، شـرط ألا يغفل عن السير المتواصل إليه..

تعلم الخطوات والأسباب التي توصلك، وتمسك بها حتى تحقق هدفك، فلا ينفع التمني بلا عمل. التمني لن يخبز لك رغيفاً، ولن يصنع لك مربى التفاح، ولن يجمع المال.. لن ينفعك طلب ما تريد دون أن تأخذ بأسبابه وتتبع خطواته..

وكما تعلمنا في درس الرياضـــيات منذ طفولتنا، واحد زائد واحد يســـاوي اثنان والناتج لا يقبل الخطأ.. كذلك ينطبق هذا القانون على كلِّ ذرة ومجرة في حياتك.. اعرف خطواتها البســـيطة التي لا تتعدى خطوتين أو ثلاث ثم تقدم بثبات.. خطوة تتبعها أخرى، وها قد وصلت...

■□ فمثلاً.. أنت تريد مكانا جيداً وسط الأشخاص الذين تعمل وتدرس وتلتقي بهم، لتكون محبوباً عند الجميع ومقبولاً بك..

أولاً ؛ اهتم بظاهرك والبسْ أجمل ما عندك، وتعطر، وحافظ على نضارة وجهك واستقامة جسدك..

ثانياً ؛ اجعلْ سمتك الإحسان إلى الناس، اعطِ أكثر مما تأخذ، واستمع أكثر مما تتكلم..

ثالثاً ؛ اقرأ وتعلم لتفعل وتتكلم عن دراية ومنفعة، فيراك الناس بعين الاحترام، ويقدّرون كلّ حرف تقوله وكلّ عمل تقوم به..

■□ أما بخصوص العمل ..

- أن تنهض باكراً..

- وتحب من يعمل معك..

- والأهم من هذا كله أن تعمل لتنفع الناس وليس لكسب المال فقط، وهذه الخطوة الأساسية هي سرّ نجاح العمل أو خسارته.. ثم تستمر على هذه الخطوات الثلاثة بلا ملل..

■□ لتعيش بكرامة وتموت بكرامة ..

لتضـــمن وجود المال في خزنتك، للتأكد دائما أنه هناك، متى احتجت إليه ذهبت وسحبت ورقة أو اثنتين. لتضمن هذه الخدمة عليك أن تصـبح كالرمال المتحركة في الصـحاري، كل ما يمرَّ فوقها تبتلعه وتخزنه في بطنها، ومهما كان حجمه، صغيراً أو كبيراً..

افعلْ هذا واحصل على كل ما يمكنك الحصول عليه، لا تتكبر على المال.. دينار، مئة، ألف، مليون، أو أكثر.. كن مصـــيدة للمال، شبكة عنكبوت، وحفرة رمال متحركة، اجذبه إليك واستمر بجمعه..

ثق بي يا صـديقي أن المال فيه منفعة وفائدة عظيمة لصـحتك وعائلتك، ولروحك أيضا، فكل هؤلاء ستخسرهم إذا لم تملك المال، أما إن كنت غني، تحيا معهم بسعادة وأكثر..

إياك والاكتفاء المبكر، ترى نفسك امتلكت بعض المال فتبحث عن الراحة والاستقرار.. كلا هذا خطأ فضيع، لا قناعة، لاتقف عندما تصـــل فهذا ليس خط النهاية، وإنما هو خط الفقر بعينه.. لا تقنع بما عندك ولا تكتفي، لا تفكر بالراحة والاســتمتاع بما حصـــلت عليه، لا تتوقف عن جمع المال والاستثمار حتى يصبح عمرك بمقاس حذائك..

■□ لتحصل على الأفضل ..

ستحصل على أفضل ما في هذه الحياة بالصبر، وعلى قدر الصبر ستحصل على المزيد. وحتى لو كسبت ما تتمنى وزيادة، فعندما تصبر بعض الوقت الإضافي سيأتيك خير أكثر، إن الصبر كمعصرة الزيت..

■□ لتهنأ بأحضان وكنف من تحب ..

الأم والأب والأخوة والزوجة والأبناء.. لتحافظ على علاقتكم الجميلة.. عاملهم وتلطف معهم كما تعامل الجار والصديق والزبون الذي تريد أن تبيعه منتوجك وتُقنعه بشرائه . . . ثم اسأل نفسك دائماً وكرر عليها هذا السؤال: عندما تكون مع أهلك وزوجتك في البيت، هل تستخدم الاتيكيت نفسه الذي تعامل به الغرباء في الشارع ؟ أم أنك تنقلب بطة صوتك مزعج، تسقط الأشياء من فمك، في كل مكان ، آثار أقدامك، أصوات، وكل ما في البيت مبعثر بسببك ؟..

أما خارج البيت فلا تفعل شيئاً مُخجلاً إلا وقلت: *آسف*.. لصاحبك الذي تعرفت عليه منذ يومين فقط.. تطلب منه شيئاً بسيطاً فتقول له: *شكراً، هذا من لطفك*.. تعطس تقول: *الحمد لله*.. تتجشأ بصوت لا يُسمع ومع ذلك تضع يدك على فمك وتقول: *عفواً*.. *أعتذر*..... أما عند عائلتك ينقلب حالك.. تخرج منك الأصوات من كل جسدك وأفعالك، كأنك محرك قطار بخاري..

■□ لتحافظ على عقلك من الجنون ..

لعلاقة زوجية وديعة استخدم قانون العاطفة والدلع.. عندما تبدأ شرارة المشكلة تكلم بحب واخبر زوجتك نفس الكلام الذي تقوله لطفلك عندما تراه حزين..

المشـــاكل الزوجية هي أكبر همومنا وتتكرر باســـتمرار، ولن ينفع وقتها استعمال المنطق والأمور الواقعية.. فأنت تحاول أن توضح لها الفرق بين الجيد والســـيئ في هذا الاختيار، وســـبب اتخاذك لهذا القرار، ومدى أهمية خطتك ومقدار النفع الحاصل من الصبر..... بينما هي تفكر بمقدار حبك لها، وتضحيتك من أجلها، ومقدار اهتمامك بها..

لذلك وبكل بســـاطة، ناقش بحب وعاطفة، واترك هُراء المنطق...

لا ســـبيل للعيش مع المرأة إلا أن تعاملها كطفلة ، لعب جزيل ونقاش قليل ، تعطيها الكثير وتقبل منها اليســـير ، نصـــح غزير يقابله تنفيذ صغير ..

وهناك أمر آخر يأتي بالشّر والصداع على الدوام ، إنها مشكلة الملابس ، المشكلة الأزلية ، الملابس التي لا تُعجب الزوج ..

الحل أيضـا أن تتعامل معها كطفلة ، لا تغضـب ، لا تتشـاجر ، لا تتفوه بكلمات تندم عليها لاحقاً ، وإنما ، الحل وبكل بســـاطة ، خذ المقص واجعلــه قطعتين ، وافعـل ذلـك وكرره مع كـل رديء من الملابس..

إذا كررت هذا مرتين فقط ، بعدها ، خذ وعداً مني ، ســـوف تتخلص من مشـــكلة الملابس نهائياً .. وهذا ليس من الظلم بل إنه حقك وواجبك ، فإن غيرة الرجل على زوجته .. حق ..

لكن تذكر أننا هنا نتحدث عن رجل ، رجل حقيقي ، أما إن كنت غير هذا فاحذر ، فأنت تدرك جيداً ماذا يمكن أن تفعل زوجة ، بيدها مقص ..

أما الرجل، فاحفظي له هيبته ورجولته ولو تصـــنعا، وســـيصـــبح في محفظتك..

الرجل ، يظن انـه المتحكم في الأمور والعائلة ، وأنـه يفعل ما يحب ، لكنه في الحقيقة ينفذ ما تريد منه زوجته .. أما الزوجة الذكية ، فإنها تجعله يشـــعر أنـه هو القائد وأنـه يفعل ما يريد ، وكما يرغب ويختار، حتى وإن كان الواقع غير هذا ..

احفظي لــه هيبتــه حتى لو كـان طفلاً، واحفظ لهـا الطفولـة والدلال حتى لو أصبحت رجلاً..

■□ الصديق ..

ضعه في ميزان الكذب، إن كذب مرة وأخرى وأخرى، تعامل معه على أنه مجرد شخص جلس بقربك في وسائل النقل وسينزل قريباً.. فلتكن علاقتك به على قدر الطريق، وعندما يصل لوجهته ويهمّ بالنزول، لا تصافحه بقوة..

■□ الكلام ..

أفضل ما فيه تركه ، جربْ أن تهدأ وتُصغي لمن يُحدثك ، وتهتم وتفرح بكلماته.. بعد هذه المحادثة القصيرة سيقول لك:

"أنت شخص رائع، سرّني التحدث معك"

■□ للتخلص من الغضب والمزاج العصبي نهائياً..

يمكنك القيام بتجربة بسيطة، لا تفكر بأي شيء يغضبك ويحزنك، لا تتكلم بكلمة تستخدم في حالة الغضب، لا تفعل ما كنت تفعله وأنت غضبان.. لمدة أسبوع كامل، أسبوع واحد فقط، وسترى الهدوء والأمان يملأ قلبك، استمر على هذا التمرين..

■□ وجدت نفسك حزيناً، وتبحث عن رشفة من السعادة تغير بها حالك..

- ابتسم ولو كذباً.. ارسم على وجهك ابتسامة مصطنعة وسترى أنك نسيت حزنك، وأن داخلك قد تغير للأفضل..

- تريد السعادة والمرح والابتسامة، وتريد التخلص من الوحدة والهم والقلق المميت، اختلط بالناس.. اختلط مع الجميع على تنوعهم، كنْ قريباً منهم، وخاصة عائلتك وزوجتك وأولادك.. حتى الغرباء، اختلط بهم، تحدث معهم، اعملْ وتعاون، وابتسم للجميع.. وأنا أضمن لك نسيان ما أنت فيه من الحزن نهائياً..

- عليك بالعطاء والعفو والتسامح، وترك الغوص في نوايا الآخرين، عندما تغوص في نوايا الناس وتبحث عن سبب تعاملهم معك بهذه الطريقة، سترجّح أنك على حق وأنهم يقصدون الضرر والإساءة إليك ، فهذه النفس أمّارة بالسوء ، وهذا الاستنتاج الخاطئ لن يحل المشكلة وإنما سيعقدها ويزيد من همومك.. فابتعد عن الغوص في النوايا..

للسعداء علامتان .. كثرة الاحسان وسرعة النسيان ، ومن غاص في النوايا غرق في الخطايا..

■□ لتحافظ على قيمتك وكرامتك..

لن تحافظ عليها حتى تكتفي بنفسك وتترك الناس وما يملكون، وتكُفَّ عما في أيديهم.. لا تطلب من أحد شيئاً، ولا تنظر إلى ما يملك، لا تقترب منه رغبة بالحصول على القليل مما لديه.. لا تنقب وتتحرى عن الناس وتبحث في أسرارهم، وتتطفل ويلازمك الفضول حتى تكتشف كل تفاصيل حياتهم..

لا تتسول الاهتمام، لا تسأل أحد هل تحبني ؟ هل تهتم بي ؟ هل أعجبك ما صنعت بيدي ؟ ما رأيك في حديثي ، ملابسي ، تسريحة شعري ؟..

■□ الاستعجال ..

ركز معي قبل أن تخسر ما تملك الآن، وتخسر ما ستملكه لاحقاً. تخسره حتى قبل أن تمسكه بيدك. لا تستعجل.. فحتى الصلاة التي هي عامود دينك وأول ما تحاسب عليه يوم القيامة قد أمرت أن تهدأ وتمشي على مهل وأنت ذاهب لأدائها.. مع أنها أغلى من الدنيا وما فيها، وهي سبب مصيرك للجنة أو للنار . . . لا تستعجل، أي شيء تريده بقوة لن تحصل عليه أبداً، أما الشيء الذي تتركه ورائك، تتجاهله وتبتعد، ستجده يلتصق بحذائك..

■□ الطباع ..

ذهب أرنب صغير خائف إلى جذع شجرة ناطق، جذعٌ ساحر، أراد الأرنب أن يصـــبح قويا فطلب من الجذع أن يحوله إلى ثعلب مكار، لبى الجذع الســاحر طلبه وبلمح البصــر تحول إلى ثعلب كبير، بدأ يمشــي مغرورا في الغابة أمام الأرانب ليخيفها، ثم سـمع نباح كلب فارتعد وهرب، ورجع إلى الســـاحر وطلب ان يحوله إلى كلب لأن الكلب أقوى من الثعلب،

اســتجاب لطلبه وبلمح البصــر تحول إلى كلب مخيف يلهث، فخرج يلهو في الغابة وطارد بعض الثعالب انتقاما منهم، وبعد أن تعب وجلس يريح بدنه ســـمع عواء ذئب من على بعد أميال، كاد يتلفظ قلبه من حلقه من شدة الخوف..

فرجع مرة أخرى إلى الجذع وطلب هذه المرة ان يحوله إلى ذئب بعيون مخيفة ورأس ضـــخم مســـتدير، لم يرفض الجذع ونطق بكلمات غريبة فتحول الكلب إلى ذئب شـــرس .. طارد الذئب كل من الارانب والثعالب والكلاب وكثير من حيوانات الغابة واصطاد بعضـها وتناول من لحومها حتى الشـــبع، وفجأة أحس بـالأرض ارتجت من تحته، إنه زئير ملك الغابة،

هرب مسرعا ولم يلتفت ومباشرة إلى الجذع الساحر وطلب ان يحوله هذه المرة إلى أسد قوي تخاف منه جميع حيوانات الغابة، نظر إليه الجذع بتهكم واشفاق وقال له:

مهما حاولت .. ومهما تحولت .. لن تصبح قويا أبدا .. لأن لديك قلب أرنب..

لذلك ايها الحبيب ، أنصحك أن تقف أمام الطباع مكتوف الأيدي يائساً، لأنها لن تتغير.. يمكنك فقط أن تكفي الناس شرّ طباعك السيئة، وتتحمل ردود فعلهم إن كنت أنت السبب. وربما قد تنفعك أيضاً في الاختيار، لتبتعد عن السيئ وترافق من هو حلو الطباع وسهل المعشر. وكل ما قلته لك سابقاً عن إصلاح وتعديل الطباع اضربه بعرض الحائط، ولا تحاول، فالطباع لن تتغير، أبداً ومحال..

■□ السياسة ..

كما كنت تمشي يوماً فرأيت أمامك على الأرض روث حمار مبعثر في الطريق، فقفزت يميناً ثم يساراً، ثم مرتين لليمين ومرة واحدة لليسار، حتى تجاوزته من غير أن يتسخ حذاؤك. ليكن هذا حالك مع السياسة..

■□ وفي كل خطوة تخطوها في حياتك هناك أمرّ عليك التأكد منه.. إذا لم تكن تنوي منفعة غيرك، وترك الأنانية والبخل، فلن تحصـــل بالمقابل على الخير ولو ناطحت الجبال..

■□ هذه هي حياتك، وحولك الكثير والكثير من الأمور التي تحتاجها، والحصول عليها سهل وميسر..

حياتك كالمعادلة الرياضـــية، تقوم بخطوة وتحصـــل على نتيجة، تقوم بخطوة أخرى ويتحقق نجاح أكبر، وإذا لم تقم بأي خطوة لن تحصـــل بالمقابل على أي شيء..

[١ + ١ = ٢] كالمعادلة الرياضـــية بالضـــبط، ولا وجود للأحلام وجنية الأمنيات..

■□ هذه هي حياتك .. إما أن تتمســـك ببعض الخطوات الهينة وتحقق المستحيل ، أو تبقى ضائعاً للأبد ...

أي شيء يمكنك تخيله في الحياة ،

هو حقيقة...